

الكتاب: مجتمع يثرب

المؤلف: خليل عبد الكريم

الجزء:

الوفاء: معاصر

المجموعة: مصادر التاريخ

تحقيق:

الطبعة: الثانية

سنة الطبع: أيلول ١٩٩٧

المطبعة:

الناشر: سينا للنشر - القاهرة / مؤسسة الانتشار العربي - بيروت - لبنان

ردمك:

ملاحظات:

مجتمع يثرب

(١)

خليل عبد الكريم
العلاقة بين الرجل والمرأة
في العهدين المحمدي والخليفي
مجتمع يثرب

الغلاف بريشة إيناس حسني
(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم)
آية الغلاف من سورة البقرة رقم ٢٢٢
الطبعة الأولى ١٩٩٧
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية: أيلول / سبتمبر ١٩٩٧

مقدمة

في المجتمع المتحضر العلاقة بين طرفي النوع الانساني هي علاقة بين رجل وامرأة اما في المجتمع البدائي فهي دافع بيولوجي بين فحل وموطوءة وفيه تجد مرادفات كثيرة للملامسة بينهما تشعرك انها تشغل حيزا وسيعا من تفكيرهم أما إذا كان المجتمع بدائيا وذكوريا معا فسوف تجد أن تلك المترادفات عبرت عن علو مكانة الرجل - نقصد العلو المادي - عند التماس ولا تكتفي بان تموضع الأنثى في المكان الأسفل بل انها توحى بالتسوية بين الأنثى والدابة وذلك يتضح بجلاء في كلمات مثل: الركوب والامتطاء والاعتلاء والوطء.

وعلم الاجتماع يؤكد لنا ان تغيير أحوال أي مجتمع لا يتم بتأثير النصوص مهما كان شأوها من البلاغة والاعجاز ولكن بتغيير ظروفه المادية وليس معنى ذلك انكار أي دور للنصوص في عملية التطوير الاجتماعي ولكن: يعنى انها تأتي مصلية (١) - كما انها تحتاج إلى وقت طويل لتؤتي ثمارها خاصة إذا قصد منها ان تقلع عادات وانساق اجتماعية ذات جذور غوائر وقواعد رواسخ وأصول ثوابت في ارض المجتمع ويزداد الامر تعقيدا إذا كانت قد استمرت مئات السنين -

(١) في (المعجم الوجيز) لمجمع اللغة العربية / صلى الفرس في السباق: جاء مصليا وهو الثاني السباق.

ويبلغ الامر تخوم اليأس إذا كانت ترضى كبرياء الرجل وتشبع غروره وتروى ظمأه الدائم ل الخنزوانة (٢).

والمجتمع البدائي مليط (٣) من الأنشطة الرياضية والفنية والأدبية التي تشغل أوقات فراغ أعضائه ومن ثم لا يجدون امامهم منفذا لتصريف الطاقات الحيوية لديهم الا في التماس بين طرفيه يتساوى في ذلك الذكر والأنثى ومن ثم يغدو هذا الفعل طقسا لا بد من مباشرته يوميا وإذا أغلقت المنافذ المشروعة سعى الطرفان إلى ممارسته عبر العلاقات غير المشروعة وربما كان السعي من ناحية الأنثى أكثر حثا لان وقت الفراغ لديها أعرض.

والأنثى في المجتمع البدائي الذكوري لطول العهد ومع مرور الزمن تستعذب سيادة الرجل عليها وترى في اعتلائه وركوبه وامتطائه لها أمورا طبيعية ثم تتحول إلى حقوق تجهد جهدا شديدا في الحصول عليها وتتفنن في طرائق الوصول إليها فإذا لم تجدها في الضوء عثرت عليها في الظلام وإذا لم تطفئ عطشها في العلن فعلت ذلك في السر وإذا لم تتحصل على بغيتها لدى البعل تحصلت عليها من الخدين.

وهي بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد الأول اشباع غريزتها الملتهبة دائما والاخر ان تثبت لنفسها انها أنثى بحق في مجتمع ينقسم إلى فحل ومواطوة وتغدو عملية التماهي بين قطبيه ميزانا لقدر كل منهما فيه فكلما كان الذكر ظاهر الفحالة كبر في أعين الجميع وبالمثل كلما كانت الأنثى صالحة للتموضع أسفل الفحل عد

(٢) الخنزوانة: هي ان يشمخ بأنفه من الكبر وفتح منخره ولهذا يقال (في أنفه خنزوانة) - من (كتاب الفروق) ل أبي هلال العسكري - تحقيق د / احمد سليم الحمصي ص ٢٧٣ -
الطبعة الأولى ١٩٩٤ - ١٤١٥ هـ - جروس برس - طرابلس / لبنان.
(٣) المليط والأملط من لا شعر له - من القاموس المحيط (ل الفيروز آبادي).

ذلك دليلا ساطعا على فعاليتها في المجتمع ولذلك كان من شارات الشرف لدى الرجال قبل الاسلام ان تكون (تحتة) عشر نسوان ورأينا من الإناث من خمسة أي استهلكت خمس فحول ومنذ قديم حق الرجل ضعف حق الأنثى.

ولا ينتطح عنزان في أن طلاقة الجو وحرارة الطقس تثيران غريزة التماس بين الرجل والمرأة لذلك نجد هذه الغريزة في البلاد البارة فاترة في حين انها في الأقاليم الحارة مشبوبة مشتعلة ومتوقدة - وليس مصادفة ان البلاد ذات الكثافة السكانية الرهيبة تمتاز بحرارة الجو في حين ان معدلات الولادة منخفضة في الأصقاع الباردة.

تلك كانت الركائز التي توكأنا عليها في هذه الدراسة عن العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع المدينة / أثرب إبان زمن محمد وعهود خلفائه الأربعة وفي اعتقادنا انه مجتمع شديد الخطر (القدر) بالغ الأهمية من الضروري بحثه من أقطاره كافة وشتى مناحيه لفهم كثير من الأمور: تتربع على رأسها (النصوص) حتى يتسنى تأويلها التأويل الأمثل وتفسيرها التفسير الأميز لأنها انبثقت في حناياه وارتبطت بأوضاعه وتشابكت مع ظروفه واتصلت بموجباته وتعلقت بأحواله وتوثقت باكراهاته ومن ثم وترتبيا على ذلك ونتيجة له حملت بصماته والحق ان عجبى لا ينقضى ودهشتي لا تنفذ وحيرتي ممتدة ممن يعرضون عن التفرس في ذلك المجتمع والتحديق فيه وتمحيصه وتأمله وتفليته (٤) في دقيقه وعظيمه في صغيره وكبيره في نحيفه وغليظه في سمينه وهزيله خاصة من جانب الذين ينادون ب (تاريخية النصوص) وبلزوم ربطها بأسباب نزولها ومناسبات ورودها لأنها تغدو دعوى بلا دليل كامل وقضية بلا حجية مقنعة وادعاء بلا برهان دامغ... الخ.

ولكن عندما نضع ذلك المجتمع تحت المجهر ونسلط الأضواء الكاشفة عليه ونبرزه ونقدمه كما رسمته كتب التراث ذاتها نكون بذلك قدمنا دلائل الثبوت على

(٤) في المعجم الوسيط ل مجمع اللغة العربية: افئلى القوم: نظر إليهم متأملا.

أفكارنا وطروحاتنا وساعتها سوف ينقمع المناوى وينخنس المعارض ويتوارى المشاكس وينكسف المعاند.

العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع المدينة / أثرب إبان حياة محمد وزمن خلفائه الأربعة من أهم معالم هذا المجمع الذي بمعرفة أبنائه تحققت الثورة التي فجرها محمد في القرن السابع الميلادي في منطقة الحجاز والتي تعد من أخطر الثورات التي شهدتها الانسانية منذ العصور الوسطى.

وهو المجتمع الذي موضع تجربة تلك الثورة المضفرة وشيئا والذي يعتبره البعض النموذج الأمثل والوحيد الذي شهدته التاريخ منذ بدايته حتى يرث الله الأرض وينادى بان تحذو المجتمعات كلها حذوه وتسير على منواله وتقتفي خطواته ... الخ.

ونحن لا نصادر حق أي واحد في أن يعتقد ما يشاء وان يطالب - بالحسنى - بما يريد انما ندعو ونلح ان تجئ معرفته بما يروجه صحيحة وقائمة على أسس موضوعية خالية من شوائب الهوى والتحيز.

وهذا الكتاب يضئ جانبا هاما في ذلك المجتمع:

العلاقة بين الرجل والمرأة - التي هي بلا مرأء فاتحة معايير تقييم أي مجتمع ورأس حشيات الحكم عليه.

أسسناه على أوثق المصادر التي تلقته الأمة بالقبول بل التجلة والتقدير الذي يبلغ في حق بعضها رتبة التقديس - (مثل كتب الصحاح الستة).

فكل خبر أو واقعة وردت بين ثناياها اتبعناها بمصدرها بمنتهى الدقة لكي نقطع السبيل على أي خصومة باطلة.

بيد انه إذا دهش القارئ أو صدم مما تحفل به صفحاته من نوازل واحداث لم يتعود على مطالعتها في كتابات التبجيل والتعظيم والتفخيم التي ولفها الكثيرون ومن بينهم أصحاب أسماء لوامع لها رنين صاحب ودوى زاعق فالتبعة تقع عليهم

وحدهم اما نحن فقد التزمنا المنهج العلمي الصارم الذي نحى عنه جانبا عوارض العاطفة والتعصب.

بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة الكتاب - والتي نرجو ان تكون متأنية وغير عجلية وان يولى ما بين سطوره ومضمراته قدرا وفيرا من اهتمامه - سيبين له على الفور لا على التراخي ان الكتاب يساعده على استيعاب كثير من (النصوص) التي تمحورت على المرأة أو تناولت الرابطة بينها وبين الرجل أو حتى حومت حولهما في كل الأصعدة بلا استثناء.

إذ ان المطالعة تعطيه فرشة وتمنحه خلفية هو في مسيس الاحتياج إليهما لفهم (النصوص) الذي خاطبت أبناء مجتمع عاشوا في القرون الوسطى في منطقة مغايرة تماما للمنطقة التي يعيش فيها القارئ.

وفي مذهبا انه يكفي للتصور وبالتالي للاقتناع.

ولنضرب مثلا توضيحيا: عندما يصف شخص شخصا آخر لثالث فمهما كان وصافا دقيقا... الخ.

فان التصور الذي يأخذه الثاني عن الثالث لا يقاس بما لو قدم له شريط فيديو يعرض أحوال الأخير. كذلك عندما نقول ان مجتمع المدينة / أثرب في تلك الفترة مباين لمجتمعنا من كل المناحي فهذا القول يظل ناقصا وقاصرا ومبهما يحوطه الغموض ويلفه الضباب وتشمله العتمة ويعوزه التوضيح ويفتقر إلى البيان ويحتاج إلى الاظهار بخلاف ما لو أثبتنا ان نسوان ذلك المجتمع كن يحتلمن ويصرحن بذلك وكانت الواحدة منهن تملأ الدنيا صخباً لأنها اكتشفت ان زوجها عنين لا طاقة له على ركوبها - ووجد في ذلك المجتمع اغتصاب وان صاحب الذي استأمنه أخوه على زوجته هجم عليها ليعافسها وان البائع ينتهز الفرصة المواتية ليحتضن الزبونة المليحة والخاطب لا يرى حرجا في أن يتحسس ساقى منخطوبته ليتأكد انها وعاء طيب للمفاخدة أو التخبط لرؤية الاجزاء المستورة منها لمعرفة مدى صلاحيتها للوطء ومن الممكن بصبصة الفتاة الحسناء في أقدم المشاعر والأزمنة أو بصبصة

نسوة الآخرين في أثناء الفتح الأعظم أو النفوس في سوقهن (جمع ساق) في عز استعار معركة مصيرية أو مجامعة الزوجة رغم الايمان المغلظة بعدم الاقدام على ذلك أو في أوقات يحرم فيها الفعل أو الاختلاء بزوجة آخر ورؤيتها عارية ومباشرتها (دون المجامعة) بشهادة شهود عدول ومع ذلك يعفو الحاكم عنهما ولا حتى كلمة تأنيب مع أن الفاعل حصن (تزوج محصنة) عشرات الزوجات وعندما قام بعمله المنكر كان واليا على أحد الأمصار وآخر يدخل بعذراء فيجدها مفضوضة وغيره يتزوج بكرا فتلد بعد أربعة أشهر وكانت هناك مشكلة حارقة هي مشكلة (المغيبات) وهن الزوجات اللاتي يخرج أزواجهن للغزو والفتى الوسيم القسيم الذي تتعشقه نسوة يثرب وتتمناه إحداهن وتنشد شعرا بصوت مرتفع: ليتهما وذاك الشاب المليح يضمهما سرير وبينهما زجاجة خمر معتق فيسمعها الخليفة فيأمر بحلق شعر الفتى الجميل حلاوة فيتضاعف توله الأثر بيات به يجد الحاكم حلا سوى نفيه وتغريبه عن القرية كلها.

وحليف أحد البطون يتبع نساء ذلك الحي خاصة زوجات الشيوخ أو المرضى الضعاف حتى يضبط مرتين وفي كل مرة يأتي المولود شبيها له ومخالفا لسحنة الزوج - فيتلاعن الزوجان ولا تمس شعرة فيه.

هذه مجرد أمثلة وغيرها العشرات ولكل خبر سنده ولكل واقعة مصدرها ... وهي مصادر لا ترقى إليها ذرة من شك ولا يماري فيها الا المعاند اللجوج. نعود إلى سياقة الحديث - الذي قطعته ضرورة ضرب الأمثال: -

عندما يحيط القارئ بذلك كله علما يغدو تصوره عن ذاك المجتمع مكتملا وواضحا كأنما عاش بين جنباته وخالط افراده وقضى معهم حياته وعاین بباصرته أحوالهم وبذلك تتحقق عدة مقاصد حيوية أهمها ثلاثة:

الأول: ليحكم بنفسه على ذلك المجتمع: هل هو مثالي ونموذجي لم تر له البشرية شبيها ولا نظيرا منذ دبت الحياة على وجه الأرض وحتى قيام الساعة أم لا. الثاني: تقديم العون الحقيقي لفهم النصوص فهما سديدا فعندما يطالع مثلا الوقائع الخاصة باللعان يستوعب المبنى والمعنى ولا يكتفى بالأول كما يفعل الكثيرون

- ولا مشاحة انه عندما ما لا يقرأها يأتي تصوره ل (اللعان) خاطئا.
الثالث: وهو مترتب على المقصد الثاني وهو ترسيخ قاعدة (تاريخية
النصوص) وربطها بأسباب نزولها ومناسبات ورودها وارجاعها إلى ظروف
منشأها.
وبذلك نكون قد قدمنا الحجج البواهر والبراهين السواطع والأدلة الرواسخ
على صحتها وثبوتها وهو ما كانت تفتقر إليه حتى الان.
فإذا وفقنا إلى الوصول لهذه القصود يكون الكتاب قد اتى بثمرته المرجوة.
خليل عبد الكريم.

مجتمع يثرب قبل الاسلام
كان مجتمع يثرب قبل الاسلام مجتمعا أميا ساذجا ونعني الوصف اللغوي لا الاصطلاحي (١) ولم تكن فيه مجالات ثقافية أو فنية تثرى الوجدان أو تصقله - باستثناء دائرة الشعر وهي ضيقة ومحدودة - كمجتمع مصر القديمة إذ كان الناس فيه مشغولين بأمور متنوعة منها: النشاط الديني البالغ التعقيد في المعابد وساحاتها وفنون العمارة والنحت والتصوير وإقامة التماثيل والمسلات واللوحات الجدارية وفي العلوم وأبرزها: الطب والرياضة والعلوم التطبيقية هذا بخلاف حرف المعيشة: الزراعة والتجارة والصناعة أو كمجتمع اليونان القديمة حيث كانت الصفوة مشغولة بالمحاورات الفلسفية والرياضيات والعامية تنصرف إلى مشاهدة المسرحيات والاحتفاليات والمهرجانات والمسابقات الرياضية المتنوعة. في المجتمع الأمي الساذج كمجتمع يثرب قبل اعلان محمد لرسالته تشغل العلاقة بين الرجل والمرأة مساحة واسعة لدى افراده خاصة مع حرارة الطقس وطلاقته وامتيازه بقدر من الجفاف مما يساعد على فزوزة (٢) هذا الضرب من النزوع (٣) لدى الجنسين.

وليس من قبيل المصادفة ان نجد لهذا النشاط في لغتهم كثيرا من المترادفات يلو كونها ويتداولونها بكثرة تشعرك بأنهم يجدون لذة وامتعة وهم يرددونها بينهم منها على سبيل المثال:

المباضعة الملامسة المضاجعة المقارفة المفاخذة المباطنة
المعافسة المجامعة المراودة المباشرة المخادنة المناكحة والمواقعة وهذه
الكلمات أساسها الفعل الرباعي فاعل مفاعلة وهو يعنى اشتراك طرفين
في الاتيان بالعمل مثل: المحاربة والمقاتلة والمصارعة... الخ.
بخلاف مصادر أخرى مثل: الرفث واللمس والاتيان والركوب
والاعتلاء والامتطاء والوطء وهذه جذرها ثلاثي: ركب لمس وطأ
اتي... الخ.

وهذه الأخيرة تركز على دور الرجل وابرازه فهو الذي يرفث ويلمس
ويأتي ويركب ويعتلي ويمتطي ويطأ وهي انسب لذلك المجتمع الذكوري.
ومن المعلوم ان اللغة هي التعبير الأمثل عن حالة المجتمع التي تنبثق منه رقا
وانحطاطا وهي أبلغ دلالة وأفصح إبانة من الملابس والمباني والمساكن
ووسائل الانتقال.

فعندما تحمل لغة عشرات الكلمات الدالة على الفعل الذي يمارس
بين الرجل والمرأة فهذا يقطع بأنه (= الفعل) يحتل بؤرة اهتمام ذكور
وإناث ذلك المجتمع الذي أفرز تلك اللغة.

كان ذلك اذن هو المستوى الحضاري ل (المجتمع الثريبي) وكان ذلك
أيضا هو مركز انشغال بال الثاربة رجالا ونسوة في الربع الأول من القرن
السابع الميلادي.

وعندما هاجر محمد إلى (يثرب) عاش في حنايا ذلك المجتمع واندمج فيه وحث الذين هاجروا قبله أو معه أو بعده على الاختلاط بأهله كما رأينا في (المؤاخاة) بين الوافدين الذين سماهم (المهاجرين) واليثاربة الذين سماهم (الأنصار) تطبيقاً لخطته التي اخذ ينفذها بدأب وإحكام شديدين في قطع صلة اتباعه بالفترة السابقة ورميها في مربع النسيان وصبغ معتنقي دعوته ب (الصبغة الإسلامية) بما في ذلك أسماء بعضهم أو كثير منهم والأماكن التي كانوا يعيشون فيها أو يمرون بها ولم يكتف بتغيير اسم اليثاربة (الأوس والخزرج) إلى (الأنصار) بل غير اسم قريتهم من (يثرب) إلى (المدينة) وحذر من استعمال الاسم القديم وفرض جزاء على من يخطئ فينطق به حتى توارى وأصبح ذكرى عابرة. ولم يكن محمد ملكاً أو سلطاناً ولذلك لم يؤثر عنه انه تعالى على مجتمع يثرب أو نفر منه أو تهكم عليه بل اختلط بالفاعلين فيه من الدرجات كافة وعاشرهم معاشرة كريمة ومن ثم وبعبقريته الفذة أحاط به وبخباياه وعرف على الفور لا على التراخي محط تفكير اليثاربة من الرجال والنسوان ونعني به العلاقة بينهما وأدرك ان الوافدين عليه سيغمرهم طوفانه خاصة وان المجتمع المكي الذي نشأ فيه غالبيتهم يتشابه ان لم يكن يتمثل حدوك القذة بالقذة - بالمجتمع اليثربي وكان الرباط فيه بين الجنسين أيضاً على الدرجة عينها من التوقد والتوهج.

من هنا حاول محمد معالجة هذا النسق الاجتماعي الراسخ بطرق شتى منها: التشجيع على الزواج أو النكاح - وهي تسمية لها مدلولها العميق خاصة في ذلك المجتمع الذي ابتدعها - تشجيعاً يدعو إلى الدهشة الوفيرة فهو مرة يقول لطالب الزواج (ابتغ ولو خاتماً من حديد) ومرة أخرى يقول (زوجتك إياها بما معك من قرآن) (٤).

وعندما يأتي إليه أحد صحابته يستعينه على اتمام نكاحه:
(فيسأله: وكم أصدقت؟ فقال: مائتي درهم يا رسول الله قال:
سبحان الله لو كنتم تأخذون من بطن واد ما زدتم والله ما عندي ما أعينك به) (٥).
وثورة محمد أو غضبه مردها ان ارتفاع المهور يحد من
فرص. الزواج (النكاح) وبالقدر عينه يشجع على العلاقات المنحرفة التي
قاومها محمد بكل طريقة. ولهذا نراه يتلو قرآنا يغلظ عقوبة الزنا وتجيئ
مطابقة لمثيلتها في كتاب اليهود المقدس (التوراة) رجم المحصن وجلد غير
المحصن مائة جلدة. وكان للقرآن في نفوس من دخلوا دين محمد رهبة
شديدة وآياته قداسة ما بعدها ولذلك سنجد انه في المشكلات
العضال كان فصل الخطاب فيها يأتي عن طريق آيات يقرؤها محمد على
الصحابة فما ان يسمعوها حتى يذعنوا لها وللحل الذي حملته على الفور
ودون معارضة أو أقل قدر من التمرد منها: كيفية التصرف في أسارى
معركة بدر الكبرى (أول معركة حاسمة مع صناديد مكة) وطريقة
توزيع الغنائم فيها بعد أن اختلفوا عليها اختلافا كبيرا.
ولقد حسم القرآن نزاعات متعددة بين اتباع محمد ولولاه لحدثت
انشقاقات خطيرة بين صفوفهم مثل:
مسألة المواريث وعلى الأخص ميراث المرأة (اما وبتنا وزوجة...)
ومثل الاصطدام الذي وقع بين الأوس والخزرج حول من تولى كبر
حديث الإفك حتى أن اثنين من كبارهم تبادلوا عبارات الرمي بالنفاق
(تهمة أشد لعنة من الكفر وأقسى عقوبة فالمنافقون في الدرك الأسفل
من النار كما في القرآن وهناك بعض المشكلات أقل أهمية - وأيضا -
حسمت بالآيات القرآنية مثل سرقة الأبيرق والظهار... الخ.

نعود لسياق الموضوع فنقول ان محمدا في سبيل علاج جريمة الزنا قرأ قرآنا حمل العقاب الصارم لكل من يقارب تلك العلاقة المحرمة لكل من طرفيها ولكنه عاد بعد حين وقال إن الآية التي نصت على رجم الزاني المحصن قد نسخت تلاوتها فحسب ولكن حكمها ظل ساري المفعول أي انها رفعت من المصحف فلم يعد المسلمون يجدونها مكتوبة فيه ولكنه / فرض واجب عليهم ان يطبقوه على المخالفين المرتكبين لها بدون هوادة.

يقول عمر بن الخطاب كنا نقرا في القرآن (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) ثم نسخت قراءتها وبقي حكمها. ولم يكتف محمد بقراءة آيات من القرآن في شأن تحريم العلاقات الفالطة من قيد الزواج أو عقدة النكاح وعقاب من يقدم عليها بل هو نفسه أصدر أحاديث تبشع تلك العلاقات وتنفر منها بل ومن مقدماتها بداية بالنظرة وكانت لأحاديث محمد قدسية عند من اتبعه على ديانته وان كانت لا تصل إلى مرتبه قداسة القرآن الا ان المسلمين احتراموها وبجلوها وأطاعوا ما تأمر به وانتهوا عما تنهى عنه لان القرآن قرن طاعة الله بطاعة محمد.

وكان استعمال محمد لأحاديثه هو كسلاح يفل به شوكة العلاقات الجوانح أوضح ما يكون في معضلة اجتماعية من أعقد المشاكل الاجتماعية التي صادفته في مجتمع يثرب وهي (مشكلة المغيبات) وهن الزوجات اللاتي يشتركن أزواجهن في الغزوات والسرايا والبعوث والتجسس وعمليات التصفية الجسدية لبعض الأعداء ولهدم الكعبات وبيوت العبادة والأصنام... الخ.

فهؤلاء الزوجات وغالبيتهم العظمى شابات كن يتشوقن إلى الوطاء
والمفاخذة إبان غياب أزواجهن - ولم يكن الاسلام باحكامه المثالية قد
تمكن بعد من النفوس لا في الرجال ولا في النسوان وفي الوقت نفسه
لم يكن كل رجال يثرب أو شبابها يخرجون للغزو بل يبقى منهم المئات
وليس عندهم ما يشغل أوقات فراغهم. وكما قلنا كان هذا الامر يستغرق
جل اهتمامهم ومن ناحية ثالثة كان على محمد ان يضمن للخارج (في
الغزو أو غيره) تغطية مسكنه وسلامه اناؤه حتى يرجع والا أحجم الرجال
عن الانخراط في الغزوات والسرايا والبعوث... خوفا على بيوتهم
واحجام الرجال عن ذلك أمر بالغ الخطورة لان الجانب الحربي أو
العسكري من الجوانب التي لا غنى لمحمد عنها بأي حال من الأحوال سواء
لضمان الأمان للدولة القرشية التي أقامها في يثرب أو لتنفيذ الخطة
المرسومة المدروسة وهي السيطرة على شبه الجزيرة العربية كلها واذعانها
لزعامه محمد وقيادته ولعل ذلك تحقق في العام التاسع الهجري وهو ما
عرف ب (عام الوفود).

وسوف نرى عندما نتولى (مشكلة المغيبات) بالدراسة والتوثيق ان
أحاديث محمد بشأنها مالت إلى التشديد ومضاعفة العقاب مما يقطع
بعمق تلك المشكلة وانها لم تكن أمرا عارضا.

مجتمع الصحابة

ان سنن الاجتماع ترفض ان تتغير الأنساق الاجتماعية في مجتمع معين وخاصة تلك التي استمرت مئات السنين في بضعة أعوام قد تنجح دعوة في تهذيب عشرات من المحيطين بالداعية ولكن القاعدة الشعبية العريضة تظل محتفظة بأنساقها وعاداتها ولا تتغير عندها الا إذا تغيرت ظروفها المادية مثل: طرق الانتاج وأدواته ووسائله بل إن بعض الملتفين حول صاحب الدعوة تغلب عليهم أعرافهم وطبائعهم المركوزة في أعماق نفوسهم والتي شبوا وشابوا عليها قبل اتصالهم به أو اتصاله بهم خاصة تلك التي تتعلق بالنوازع الطبيعية وفي أحيان كثيرة يفرعون إلى الداعية معترفين بمقارفتهم لما نهى عنه وهو يتسم بالحلم وسعة الصدر وبعد النظر والفكر السديد والرأي الصائب فيعرف ان الطبع غلاب وان النوازع البشرية لها هيمنتها فيغفر ويسامح ويتجاوز وينصح في رفق لأنه يدرك انه حتى اللزيقون به بشر وانهم عاشوا غالبية عمرهم في مجتمع له موجبات معينة وانه من أعسر العسر التخلص منها ما بين عشية وضحاها - ولا يساق دفعا لذلك في حالتنا موضع البحث = ان

المجتمع اليربى دخله عامل جديء وهو ءراسة القرآن وأءاءىء مءمء
والءى ىءولى الرء على هءا الءفع: كءب السىر والءوارىء الءى أءبرءنا ان
الاشءغال بهءه العلوم اقءصر على عءء مءءوء من صءابة
مءمء: (فى مسلم والبءارى عن انس بن مالك قال: ءمع القرآن على
عهد النبى - صلى الله علىه وسلم - أربعة كلهم من الأنصار: أبى بن كعب ومعاذ بن
ءبل وزىء بن ءابء وأبو زىء قلت لأنس: من أبو زىء؟ قال: أءء
أبناء عمو مءى) (٦) وءى إذا أضيف إىهم (عثمان وعلى وءمىم الءارى
وعباءة بن الصامء وعبء الله بن عمرو بن العاص) (٧) كان معنى ذلك أن
مءموء من ءمع أى ءفظ القرآن ءسع أو عشر أنفس فى ءىن ان عءء
الصءابة كان مائة الف وأربعة عشر ألفا (قال أبو زرعة: ... قبض
رسول الله - صلى الله علىه وسلم ومائة الف وأربعة عشر ألفا ممن روى عنه وسمء
منه

قىل: يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وسمءوا منه؟ قال: أهل المءىنة وأهل
مكة وما بىنهما والاعراب ومن شءء ءءة الوءاع) (٨).
فإذا كان عءء الصءابة مائة الف وأربعة عشر ألفا ولم ءمع القرآن
منهم فى ءىاة مءمء سوى عشرة فقط - الا ءؤىء ذلك وءهة نظرنا؟ اما
أءاءىء مءمء فمن المءفق علىه ان من كان ءمءها اءنان فقط هما: أبو
هرىرة وعبء الله بن عمرو بن العاص والأءىر كان ءكءب.
وءى ءكون لءى القارىء صورة صادقة عن هءا الامر نورد بعض
الاءبار - الموءقة - فى هءا السىاق:

١ - (قال بعض الأئمة: مائ عبء الله بن مسعود قبل ان ءءم
القرآن) (٩). وعبء الله بن مسعود مءءوء بىن علماء الصءابة وءاصة فى
مءال القرآن وعلومه ولءا كان مءضبىا لاسءبعاءه من اللءنة الءى كونها
عثمان لنسخ (المصءف الامام) والءى ءمء زىء بن ءابء وكان ابن

مسعود يصيح متوجعا أو يتوجع صائحا (يا معشر المسلمين اعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل والله لقد أسلمت وانه لفي صلب رجل كافر) (١٠).

فإذا كان صحابي مثل ابن مسعود لم يختم القرآن فما بالك بغيره!!
اما عن أحاديث محمد: - ٢ - (قال أبو هريرة: انكم لتقولون ما للمهاجرين لا يحدثون هذه

الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وان أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها وإني كنت امرءا مسكينا الزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ملء بطني وكنت أكثر مجالسة رسول الله - ص - أحضر إذا

غابوا واحفظ إذا نسوا) (١١). وفي رواية: (كان المهاجرون يشغلهم الصنفق في الأسواق (أي التجارة) والأنصار العمل في الحيطان) أي زراعة كرومهم وبساتينهم) وفي رأينا أنها أدق لأنها تناسب حال الفريقين فالمهاجرون أصحاب تجارات والأنصار أصحاب زراعات. هذه شهادة واحد من اعلام الصحابة تقطع بان المهاجرين كانوا في شغل بالمتاجرة والأنصار تستغرق أوقاتهم أمور الزراعة:

فإذا كان هذا حال أعيان الصحابة فما هو حال عامتهم؟
ولعل مما يكمل شهادة أبي هريرة الخبر الذي يذكر ان عمر بن الخطاب كان له جار من الأنصار وكانا يتناوبان الاهتمام بأرضيهما فيتولاهما أحدهما يوما وينزل الاخر إلى محمد اعتزل نساءه التسع فسارع إلى ابلاغ عمر بذلك ففرع فرعا شديدا لان ابنته الكبرى حفصة كانت من بينهن ولم تكن ذات حظوة مثل التي نالتها ابنة أبي بكر:

٣ - (وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن عمر قال كنت انا وجار لي من الأنصار في بنى أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي - ص - ينزل يوما وانزل يوما فإذا نزلت جئته بنخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل عمل مثل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربا شديدا فقال: اثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم... فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي...) (١٢).

فهذا هو عمر بن الخطاب وهو من (مجلس العشرة المبشرين بالجنة) الذي يشكل (مجلس شورى محمد) والذي حل محل (ملا قریش) الذي كان يحكم مدينة القداسة مكة قبل الاسلام كان يقضى نصف وقته في أشغاله الخاصة فما بالك بمن هو دونه رتبة وأقل لزوقا بمحمد وابعد صلة منه؟!!

وابنه عبد الله بن عمر له درجة رفيعة بين أصحاب محمد تحدثنا الاخبار انه استغرق أربعة أعوام كوامل ليحفظ سورة البقرة ولا شك انه كان يتمتع بما يسميه علماء النفس (الذاكرة الحرفية) وهي التي تحفظ النص الذي تسمعه أو تقرأه حرفيا مثله في ذلك مثل باقي أقرانه لان المجتمعات الأمية تعتمد على التلقي والحفظ لان وسيلة ايصال المعلومات أو العلوم هي المشافهة وهنا يبرز دور (الحافظة) أو الذاكرة الحافظة؟ حتى في أيامنا هذه نجد الأمي يعتمد على ذاكرته أكثر من القارئ الكاتب الذي يعتمد على التدوين وليس معنى ذلك أن عبد الله بن عمر كان أميا ولكننا نتحدث عن المجتمع الذي نشأ فيه.

اذن فما الذي جعل ابن عمر يستغرق أربعة أعوام ليحفظ سورة واحدة هي سورة البقرة في حين إننا نرى ونسمع عن أطفال دون العاشرة

يحفظون القرآن كله!!! العلة في ذلك بلا مرء هي انهما كه في العناية بأعماله شأنه في ذلك شأن سائر المهاجرين الذين تحدث عنهم أبو هريرة فيما سلف.

وهذا هو نص الحديث أو الخبر الذي نقل إلينا استغراق عبد الله بن عمر - أربع سنوات ليجمع (= ليحفظ) سورة البقرة وحدها:
٤ - (عن ميمون ان ابن عمر - رضي الله عنه - تعلم سورة البقرة في أربع سنين) (١٣).

هذه بعض الاخبار وكلها موثقة - قدمناها كأمثلة فحسب تقطع بأن ما جاء به محمد من علوم كان تلقيها ودرسها وجمعها أو حفظها مقتصرًا على عدد محدود من صحبه ومنحصرا داخل مسجده فضلا عن أن المدة التي قضاها في يثرب لا تزيد على عشرة أعوام الا ببضعة شهور وهي مدة قصيرة للغاية لا تكفي لتغيير أعراف القاعدة الشعبية العريقة وعاداتها في يثرب. ولذلك لم يكن مفاجأة ان تحفل دواوين السنة وكتب السير والتواريخ وعلوم القرآن مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتفسير القرآن... الخ بكم هائل من اخبار عن علاقات غير مشروعة مثل: الاغتصاب والزنا والدخول على المغيبات وتجاوز الأوامر والنواهي الصريحة مثل الجماع في نهار رمضان وفي الاحرام في الحج وأثناء حيض الزوجة أو استحاضتها.

وتلك التي لا تصل إلى حد اللامشروعية ولكنها تتنافى مع الحد الأدنى من الشعور الانساني السوي مثل مجامعة جارية أو زوجة في ليلة وفاة زوجة أخرى وفضح الزوجة لزوجها العنين على رؤوس الاشهاد حتى عرفت القرية (يثرب) كلها بالامر وتصر على طلب الطلاق لأنها لا

تطبيق الصبر على المجامعة والمفاخدة ولا تضع في اعتبارها ان تظل معه ولو لمدة يسيرة عسى ان تكون عنته أمرا عارضا أو راجعة لعامل نفسي قد يزول بعد قليل!!!

واعتراف امرأة أو أكثر انها رأت في الحلم زوجها ركبها وظل يدعكها حتى ارتوت وأنزلت فما الحكم: هل تعتبر تلك جنابة فتغتسل منها؟! وأخرى تصيح بأعلى صوتها حتى يسمعها من يسير في الطريق متمنية ان تغيب في أحضان فتى جميل وبينهما قنينة خمر معتقة لتضاعف لذتها وتزداد متعتها!

وثالثة يروق لها أجير زوجها فترتمي بين ذراعيه ولا تتركه الا بعد أن يقضى لها وطرها فيكتشف زوجها ذلك فيشكوهما! ورجل تأتيه امرأة تبتاع (تشتري) منه تمرا فيحضنها ويقبلها! وآخر وفي المشاعر المقدسة ينتهز فرصة نوم امرأة فيعتليها غير عابئ بحرمة الزمان أو المكان.

وثالث يأتمنه صاحبه على أهل بيته عند سفره ليراعيههم ويقضى حوائجهم فما ان يبعد حتى يهجم الصاحب على الزوجة منتويا اغتصابها!!!

ورابع يقابل امرأة كانت بغيا فتابت وأقلعت فيراودها عن نفسها! وفتى حسن الوجه جميل الطلعة فتن نساء يثرب فأمر به الحاكم فحلق شعر رأسه فازداد بهاء فتضاعف وله الثريبات به فنفاه. وهكذا وهكذا.

عشرات الصور التي حملتها كتب تلقتهأ (أمة الاسلام)
بالقبول والتجلة أي لا مطعن عليها - تقطع بان (مجتمع يثرب) لم يتغير
لا في قليل ولا كثير وان العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة ذكر وأنثى
وانها كانت المحور الذي يدور حوله ذلك المجتمع وان محمد بذل جهودا
تفوق طاقة البشر ليتسامى ذلك المجتمع بها ولكن لرسوخ ذلك النسق
الاجتماعي وتجزره وضربه حتى الأعماق فيه هذا من جانب - ولقصر
المدة التي قضاها محمد بين جنباته من جانب - ظل ذلك المجتمع على
حاله ولم يتغير الا بنسبة ضئيلة.

المرأة في مجتمع يثرب

ليس أدل على أهمية التماس بين الذكر والأنثى في مجتمع يثرب من أن نورد أمثلة لما كان يحدث في هذه الدائرة - في ذلك الوقت - من واقع اخبار موثقة نقلتها إلينا كتب لا سبيل للطعن عليها بأي حال.

ونبدأ بأبشع صورتين في هذا المجال: الاغتصاب والشروع فيه:

- (عن أسباط بن نصر عن سماك بن علقمة بن وائل عن أبيه وائل

بن حجر زعم أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد إلى

المسجد فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبها (أي الذي وقع عليها) ثم

مر عليها قوم ذوو عدة فاستغاثت بهم فأدركوا الذي استغاثت به وسبقهم

الآخر فجاءوا يقودونه إليها فقال: انما انا الذي أغثتك وذهب الآخر فأتوا

به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ... الخ) (١٤).

وباقى القصة ان محمدا أمر برجمه ولكن استيقظ ضمير الجاني

(الفاعل الأصلي) فاعترف وبرئ الآخر الذي أغاثها.

فهنا امرأة تسعى لصلاة الفجر ولكن ذلك لم يمنع الرجل من اغتصابها ونرجح ان ما كان يساعد على سرعة المباشرة سواء في هذا الخبر أو غيره مما سوف نسطره انهم رجالا ونساء لم يكونوا يرتدون ملابس داخلية لانهم كانوا يجهلون انها تماما خاصة السراويل ولم يكن يعرفها الا أقل القليل منهم.

(حدثنا الحسن بن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سيرة قال: بينما نحن ب (منى) مع عمر - رضي الله عنه - إذ امرأة ضخمة على حمار تبكي قد كاد الناس ان يقتلوها من الزحمة عليها وهم يقولون لها: زنيت... زنيت. فلما انتهت إلى عمر - رضي الله عنه - قال: ما شأنك ان المرأة ربما استكرهت؟

فقالت: كنت امرأة ثقيلة الرأس وكان الله يرزقني من صلا الليل فصليت ليلة ثم نمت والله ما أيقظني الا رجل قد ركبني ثم نظرت إليه معقبا ما أدري من هو من خلق الله - فقال عمر: لو قتلت هذه خشيت على الأخشبين النار - والأخشبان الجبلان المطبقان على مكة وهما أبو قبيس والأحمر) (١٥).

امرأة من قوامات الليل وفي أقدس الأماكن وأقدس الأزمان وتؤدي أقدس الشعائر كل ذلك لم يحل دون الوثوب عليها واغتصابها. - (وقال في رواية الكلبي ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينهما فكانا لا يفترقان فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض

مغازيه وخرج معه الثقفي وخلف الأنصاري في أهله وحاجته وكان يتعاهد أهل الثقفي فاقبل ذات يوم فأبصر امرأة صاحبه قد اغتسلت

وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى إليها فذهب ليقبلها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيا فأدبر راجعا فقالت: سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك... (١٦).

هذا اليربى لم يعبا بمؤاخاة محمد بينه وبين الثقفي وأنها أصبحتا كالأخوين لا يفترقان ولا ان الثقفي خرج مجاهدا في سبيل الله فما ان رأى زوجته قد اغتسلت ونشرت شعرها حتى نسى ذلك كله واقتحم عليها منزلها ناويا اغتصابها لولا أنها كانت عفيفة فصدته ووبخته. هذا الخبر يؤكّد ما ذكرناه من أن الأنساق الاجتماعية المتمكنة في النفوس من أعسر العسير ان تزول في بضع سنين وبمجرد قراءة أو سماع نصوص ومواعظ.

- (قال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت آية (والذين إذا فعلوا فاحشة) في نبهان التمار أته امرأة حسناء باع لها تمرا فضمها إلى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية) (١٧).

هذا التمار (بائع التمور) انتهز فرصة خلوته بالمرأة الحسنة التي جاءت تعامله فهجم عليها واحتواها بين ذراعيه وقبلها ويبدو انها قاومتها فاستحى من نفسه وندم على فعلته الفاحشة.

- (عن علقمة والأسود عن عبد الله (بن مسعود) قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله انى عالجت امرأة في أقصى المدينة

وإني أصبت منها دون ان آتيها وانا هذا فاقض في ما شئت قال: فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك فلم يرد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم -

فانطلق الرجل فأتبعه رجلا ودعاه فتلا عليه الآية (ان الحسنات يذهبن السيئات) فقال: يا رسول الله هذا له خاصة؟ قال: لا بل للناس كافة (١٨).

ونذكر بما قلناه ان الداعية يصبر ويتسامح ويتجاوز ويفتح باب التوبة والإنابة ويتلو على الرجل المخالف آية لا تقنطه بل تعطيه الرجاء ما دام لم يقترف بما يوجب توقيع الحد عليه - لماذا؟

لان محمدا يعرف ان هؤلاء سلخوا من عمرهم شطرا كبيرا في مجتمع تستعر فيه علاقة الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر على السواء وان هذا النسق من السلوك لن يختفي في عقد من السنين ولا ان الفاعلين في ذلك المجتمع سيقلعون لمجرد سماع موعظة بليغة! وتتكرر المخالفات من افراد ذلك المجتمع فلا يقابلها محمد الا بمزيد من سعة الصدر والعفو:

- (حدثنا سليمان التميمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبلا فأتى النبي - ص - فذكر ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية (أقم الصلاة... إلى اخر الآية) فقال الرجل إلى هذه؟ قال : لمن عمل بها من أمتي) (١٩).

ان محمدا أدرك ان الجنوح مستمر وسلسلة الأخطاء والخطايا ممتدة وان القاعدة الشعبية العريضة واقعة لا محالة تحت سلطان الأعراف والقيم والتقاليد التي درجت وشبت وشابت عليها وان من الأصلح فتح باب التوبة فقرأ عليهم آية تخبرهم ان إقامة الصلاة والالتيان بالحسنات يمحوان تلك الآثام التي يمارسونها في سهولة ويسر باعتبار انها جزء من نمط الحياة الذي يحبونه.

- (عن عبد الله بن مغفل قال: لقي رجل امرأة كانت بغيا فجعل يداعبها حتى بسط يده إليها فقالت: مه ان الله قد اذهب الشرك فتولى فأصابه الحائط فشججه فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال: أنت عبد أراد بك خيرا وإذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا) (٢٠).

هذا الصحابي يداعب البغي السابقة ثم يبسط يده إليها بادئا بما في نفسه انه ينتهي بهما إلى المواقعة ولكنها تصده صدا عنيفا وتذكره بان ذلك كان أيام الشرك فيؤوب خزيان حتى لا يبصر جدارا امامه فيشججه ولما ينهي الامر إلى محمد لا يعنفه بل يرفق به ويعلمه ان الله أراد به خيرا. هذه بعض أمثلة على ما كان يقع من حوادث اغتصاب أو شروع فيه ليس من بينها واحد مستخرج من مصدر مشکوك فيه أو (مضروب) أي مغموز فيه وهي تقطع بأن (المجتمع الشريبي) رغم وجود محمد بين ظهرانيه فإن نسق التصاق الذكر بالأنثى ظل كما كان مشتعلا متوهجا. ولكن الذي يلفت النظر بشدة هو موقف محمد الذي اتسم بغاية الرفق والتسامح والعفو والتجاوز لأنه أدرك بثاقب بصيرته النفاذة ان افراد ذلك المجتمع من المستحيل ان يتغير سلوكهم سريعا.

ومن البديهي ان نذكر ان تلك الأفعال لم تصل إلى ارتكاب ما يستوجب توقيع الحد باستثناء واقعة اغتصاب المرأة التي كانت في طريقها لأداء صلاة الفجر إذ عفا عن الجاني لأنه أكبر فيه شجاعته إذ تقدم طائعا مختارا معترفا بجرمه بعد أن رأى بريئا سوف يدفع ثمن فعلته الشنعاء. (وفقت مدرسة التحليل النفسي إلى حد كبير في تفسير الأحلام... وقالت: ان الحلم هو دائما ارضاء لرغبة مكبوتة... فثمت رغبات

أخرى قد تتخذ من الحلم سبيلا وهميا إلى ارضائها لأنها لا تجد في عالم الواقع ما يرضيها) (٢١).

اذن من أهم وظائف الحلم النفسية تعويض الحالم بما يفتقر إليه في الواقع... ويرى فرويد وهو يتكلم عن الأحلام وتفسيرها ان لكل حلم محتوى ظاهرا ومعنى خبيثا نسميه (الأفكار الكامنة) وانه يجب التمييز بينهما وان ذلك لازم في عملية تأويل الأحلام (٢٢).

الرغبة تتحول في الأحلام إلى واقعة كما تتحول الأفكار المستترة إلى صور ذهنية في أغلب الأحوال (٢٣).

وبعد هذا التمهيد نلقى نظرة على الاخبار الآتية:

- (عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - انها أخبرت عروة بن الزبير راوي الحديث ان أم سليم أم بنى طلحة دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق أرأيت المرأة ترى ما يرى الرجل... أتغتسل؟ قال: نعم فقالت عائشة: أف لك أترى المرأة ذلك فالتفت إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: تربت يمينك من أين يكون الشبه؟) (٢٤).

وفي رواية أخرى:

- عن أم سليم - رضي الله عنها - قالت: كنت مجاورة أم سلمة - رضي الله عنها زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: أم سليم: يا رسول الله أرأيت

إذا رأيت المرأة ان زوجها جامعها في المنام ان تغتسل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.....) (٢٥)

- اخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان امرأة يقال لها بسرة جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقالت: يا رسول الله إحدانا ترى

انها مع زوجها في المنام قال: إذا وجدت بللا فاغتسلي يا بسرة (٢٦).
الحديث الأول حديث أم سليم أخرجه احمد ومسلم والبيهقي والدارمي ونقله ابن قدامة في المغني أي انه ثابت وموثق توثيقا مكينا والآخر حديث بسرة أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ونقله عنه أبو حمزة الدمشقي في (الأسباب) وهما يدلان على أن احتلام النسوان في المجتمع اليربني آنذاك الناتج عن رؤيتهن أحلاما بان أزواجهن تفخذوهن في المنام مسألة لا يرقى إليها شك.

وهذا يؤيد فكرتنا التي قلنا بها من أن اتصال الذكر والأنثى كان لديهم من الشواغل الأثيرة حتى اللاتي لا يجدن ذلك متحققا في واقع الحياة يرينه في الحلم. وقد ذكرنا فيما سلف ما يؤكد علماء التحليل النفساني من أن الحلم يؤدي دورا تعويظيا كبيرا بتحقيق الرغبات الكامنة المكبوتة التي لا تجد في الواقع ما يرويهها ويشبعها ولم يقتصر الاحتلام على النسوان بل كان بعض الرجال يحتلم كان ذلك يحدث إذا اضطرت ظروف قاهرة للانفصال عن أنثاه مما يقطع بان الاتصال بين الجنسين كان طقسا يمارسونه يوميا فإذا لم يتيسر لهم في اليقظة أي في الواقع رأوه في المنام على سبيل التعويض:
- (قال رفاعة بن رفاعة بن مالك: غلبني النوم فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل - كان ذلك ليلة غزوة بدر الكبرى) (٢٧).
لقد كان حريا بهذا الصحابي ان يبيت مهموما بالمعركة التي تقرر ان

تدور رحاها في اليوم التالي وهو يعلم أنها عركة فاصلة ولكن الطبع غلاب والعادة لها سلطانها.

ولم تكن كل النساء اليشربيات يكتفين بالمفاخدة التعويضية التي تحدث في الأحلام بل كان بعضهن يمتلك حسا واقعيا لم يرض بما يراه أو حتى يحسه في الرؤية فكان يبحث عن الزواج أو النكاح بحثا دؤوبا وفي عجلة ولهفة وينق عن الشاب الجلد الذي يروى الظما ويعطى المتعة ويعرض عن الشيخ الكبير حتى لو كان ذا مال مثل:

سبيعة بنت الحارث الأسلمية كانت زوجة لسعد بن خولة من بنى عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرًا فتوفى عنها في حجة الوداع فما ان طهرت من نفاسها حتى بادرت بالتزوين والتجمل للخطاب انتظارا لاقبالهم عليها فدخل عليها ثلاثة هم: أبو السنابل بن يعكك وكهل وشاب فاختارت الشاب وفضلته وتفضيل الشاب ليس في حاجة إلى تعليل:

- (... فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن يعكك فقال لها: مالي أراك تجملت للخطاب ترجين (النكاح) فخطبها فأبت ان تنكحه فخطبها رجلان: شاب وكهل فخطبت إلى الشاب) (٢٨).

وتراوحت الروايات في مدة الوضع بعد وفاة الزوج ما بين أسبوع إلى ثلاثة أسابيع ولم يستغرق طهرها من النفاس أكثر من أسبوعين أي ان سبيعة تزوجت بعد ترملها بشهر أو أقل ولا تفسير لذلك الا الوله بالتماس مع الطرف الآخر.

وواقعة أخرى عن ذوات النزعة الواقعية يحملها لنا الخبر الآتي: -

- (عن الربيع بن سبرة ان أباه حدثه انهم ساروا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- في حجة الوداع فقال: استمتعوا من هؤلاء النساء والاستمتاع عندنا
التزويج فعرضنا ذلك على النساء فأبين الا ان يضرب بيننا وبينهن اجلا
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - افعلوا. فخرجت انا وابن عم لي معه برد
ومعي

برد وبرده أجود من بردى وانا أشب منه فأتينا امرأة فأعجبها شبابي
وأعجبها برده فقالت: برد كبرده وكان الاجل بيني وبينها عشرا فبت
عندها تلك الليلة.

وتكلمة الخبر تحريم زواج المتعة إلى يوم القيامة (٢٩).
سبعة الأسلمية فور طهرها من نفاسها تتجمل وتزين ويدخل
عليها الخطاب يعاينونها وتعاينهم ثم تختار منهم الشاب وتذر الكهل
الذي أهلك الدهر قوته والأخرى - صاحبة زواج المتعة - لا تعير برد
الشيخ الكبير اهتماما رغم نفاسته وجودته وتفضل الشاب ذا البرد الحائل
المستهلك إذ ماذا يغنى البرد الجيد عن صاحبه الكبير المتهالك!!!
ووقوع اختيار المرأتين على الشابين مؤثر واضح على قوة نزعة
التماس بين الذكر والأنثى لديهن وهيمنته على وجدانهن وانه الهاجس
الوحيد الذي يتمركز في بؤرة الشعور لان الاخبار لم تحدثنا ان السبب
كان هو حسن خلق الشابين أو عمق تدينهما أو تضحيتهما في سبيل
الدين أو لسابقتهما في الاسلام / للسبب في آن.
ولعل من المناسب ان نذكر ان السبب في أن محمدا أحل لأصحابه
(زواج المتعة) هو ادراكه العميق لما كان يجرى
داخل حنايا (مجتمع يثرب) وكان يهيمن على تفكير الفاعلين
فيه من الجنسين فأحل هذا النوع من النشاط حتى يدرأ به عنهم شرور

العلاقات المحرمة فهو في آخر المطاف (زواج) أو (نكاح) مشروع لا شبهة فيه ومما يؤيد ذلك تيسير ما يدفع في زواج المتعة من صداق أو سياق أو مهر مثل: بردة أو نعلين أو أو حفنة من تمر... ونحن نركي رأى ابن عباس ان زواج المتعة ظل حلالا حتى حرمه عمر بن الخطاب ونعلل تحريم ابن الخطاب له هو تدفق السبايا والجواري المجلوبات من البلاد المفتوحة والموطوءة على يثرب حتى شبع الرجال منهن ومن ثم لم يعد هناك مبرر ل (زواج أو نكاح المتعة) وسبق ان ذكرنا ان تغير الظروف المادية لدى مجتمع معين يؤدي بطريق الحتم والضرورة إلى تغير أنساقه الاجتماعية وعاداته وأعرافه وأفكاره بل وعقائده وعلى أحسن الفروض تفسير تلك العقائد تفسيراً مختلفاً.

ولكن ماذا تفعل المرأة في مجتمع يثرب إذا تزوجت من رجل لم يستطع ارواء ظمئها؟

انها تشهر به وتعلن ذلك للقاصي والداني للبعيد والقريب حتى تعلم القرية (يثرب) كلها بعنته وتلجأ لمحمد طالبة منه ان يخلصها من هذه (المصيبة) ولا تقول ذلك بصورة ملفوفة بأن تلمح لا بل انها تصيح مصرحة بذلك بأعلى صوتها وبطريقة خادشة تفزع حتى الرجال من الكهول:

- عن عائشة قالت: دخلت امرأة رفاعة القرظي وانا وأبو بكر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: ان رفاعة طلقني البتة وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما عنده مثل الهدية واخذت هدية من جلبابها وسعيد ابن العاص بالباب لم يؤذن له فقال: يا أبا بكر الا تنهى هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما زاد ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على التبسم وقال:

كأنك تريدان ان ترجعي إلى رفاعه... لا حتى تذوقى عسيلته ويزوق عسيلتك) (٣٠).

ورفاعه القرظي هو رفاعه بن السموعل والمرأة هي تميمه بنت وهب. والخبر موثق أشد ما يكون التوثيق إذ أوردته عوالي دواوين السنة ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الفقه في المذاهب كافة لأنه انطوى على قاعدة فقهية هي (ذوق العسيلة): -

وهو دليل دامغ على أن مسألة الملامسة بين الجنسين في (مجتمع يثرب) مسألة هامة وملحة لدى اليثاربة رجالا ونسوة.

وفي أحيان أخرى كانت المرأة في ذلك المجتمع لا تكتفي بقدرة الرجل على الركوب والمباطنة وكفايته في المجامعة والمفاخذه بل كانت تشترط فيه ان يكون مليحا وضيئا حتى تكتمل لها المتعة أثناء الاعتلاء والامتطاء:

- (امرأة قيل إنها حبيبة بنت سهل الأنصارية وقيل إنها جميلة بنت سلول وقيل إنها جميلة بنت أبي سلول وقيل بل انها أخت عبد الله بن أبي بن سلول تزوجت من قيس بن ثابت وهو قصير دميم ويبدو انها لم تعينه قبل النكاح (الزواج) فما ان وقعت عينها عليه حتى كرهته وحاولت ان تعاشره ولكن نفسها لم تطاوعها إذ مما لا شك فيه ان قبح خلقة أحد الطرفين ودمامته يفسدان على الآخر متعته ولذته وبهجته فذهبت إلى محمد وأبلغته انها لا تشتكي من ابن ثابت في خلقه ودينه ولكنها لا تطيقه بغضا وتكره دمامته ولولا مخافة الله لبصقت في وجهه

كلما دخل عليها وانها تريد فراقه لان رؤيته تصيبها بالغم والكآبة والابتئاس وكان أصدقها حائطا أي حديقة.
وفي رواية حائطين فسألها محمد ان كانت على استعداد لترد عليه حديقته فسارعت تجيب: أردتها وزيادة فاستدعى قيسا وفك ما بينهما من عقد النكاح وردت الحديقة) (٣١) ولأنه أول خلع في الاسلام بين زوج وزوجه نجده مسطورا في كتب المذاهب الفقهية كافة في الأبواب التي تتناول النكاح والطلاق والخلع والظهار...
هذه اليتيمية تزوجت رجلا فاضلا لا عيب في دينه أو خلقه أو معاملته أو عشرته أو انفاقه على البيت ومع ذلك أبغضته وفرغت إلى محمد مصرة على طلب الانفصال عنه لمجرد ان منظره كئيب يفقدها متعة التلاقي ونشوة التماس.
وفي المقابل نرى ان ملاحه ابن واحد من الصحابة ووضاءته قد جنتا عليه إذ تعشقتة نسوان ذلك المجتمع وتدلهن في حبه وتمنيه وأخذن يصرحن بذلك في أبيات شعر:
- (نصر بن الحجاج بن علاط السلمي كان من أحسن الناس وجهها ولمة وفي ليلة سمع عمر بن الخطاب امرأة تقول: الا سبيل إلى خمر فأشربها: الا سبيل إلى نصر بن حجاج وهذه المرأة هي الفريعة بنت همام ويقال: انها أم الحجاج بن يوسف الثقفي ولذلك قال له (للحجاج) عروة بن الزبير: يا ابن المتمنية.
فنفى عمر نصرا من المدينة فأتى الشام فنزل على أبي الأعور السلمي

(له صحبة ومن شيعة معاوية ضد علي) فهوته امرأته وعشقتها (= نصر) وفطن أبو الأعور لذلك... فابتنى له قبة في أقصى الحي فكان بها واشتد ضناه بالمرأة كلفا بها حتى مات وسمى (المضنى) وضربت به الأمثال (٣٢).

وفى رواية ان عمر بن الخطاب أمر بحلق رأسه فازداد حسنا وجمالا فتضاعف توله الثريبات به وأصبحت كل يثرية تتمنى التماس به فنفاه ابن الخطاب عن يثرب (المدينة) ولا ذنب لنصر في ذلك فالجمال منحة من الله لا من صنعه هو والمرء يؤاخذ على ما جنت يدها ويسأل عما اقترف فنفى عمر له وتغريبه إياه لم يكن عدلا وليس في شرع الاسلام ما يسوغه أو يبرره -

ونصر هذا أبوه صحابي بلا خلاف وكذا أبو الأعور السلمي (من رهطه وعشيرته) الذي نزل عليه ضيفا في منفاه صحابي أيضا وفى الأغلب الأعم ان المرأة أبا الأعور هي الأخرى كذلك ولم تذكر المصادر اسمها لتؤكد من ذلك ولكننا نقوله من باب الترجيح فهذه المجموعة التي تشكل ابطال القصة تمثل عينة ل (مجتمع يثرب) وما كان يشغله في هذا المجال فلو لم تكن مسألة التلاقي بين الأنثى والذكر ذات بال لما افتتنت الثريبات بالفتى الجميل نصر ولما لاحقنه وتمنيه وقلن شعرا في ذلك حتى ارتفع الامر إلى الحاكم فلا يجد خلاصا لهذه المشكلة التي أرقت عيون نسوة يثرب الا بنفيه منها.

وتعج المصادر على اختلافها وتنوعها (أحاديث تفسير أسباب نزول وورود ناسخ ومنسوخ فقه...) بصور عجيبة تؤكد ما نذهب إليه:

- (عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ان امرأتي لا تمنع يد لامس قال: غربها قال: أخاف ان تتبعها نفسي قال: فاستمتع بها) (٣٣) وعبارة (لا تمنع يد لامس) واضحة لا تحتاج إلى بيان ففي القرآن (أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا...) (٣٤، ٣٥) ومع ذلك فهذا الرجل اليثربي لم يأخذ بنصيحة محمد ان يغرب زوجته اليثربية التي لا طاقة لها بمنع يد لامس ويعلل ذلك بأنه يحبها ولا يطيق فراقها ولو فعل ذلك أي لو نفاها لتبعها أي لحق بها في منفاها!!!

ويثربية أخرى تظهر عليها علامات الاستجابة ليد من يلمسها ومنذ قديم حال هذا الصنف من النسوة لا يخفى على اليقظ:
- (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لو كنت راجما أحدا بغير بينه لرجمت فلانة فقد ظهرت فيها الريبة في منطقتها وهيئتها ومن يدخل عليها) (٣٦).

في الحديث ان الشك يحوط تلك اليثربية من وجوه ثلاثة:
كلامها مضمونا وطريقة وصوتا... الخ وملابسها وطريقة تزيينها
- وان لها عملاءها من اليثاربة افراد ذلك المجتمع الذين يشاركونها في أفعالها ويبدو ان دائرة نشاط تلك ال (فلانة) اتسعت وتعمقت وانتشرت حتى أقلقت محمدا.

مجتمع الذكور والإناث

كانت نزعة معافسة النساء لدى رجال (المجتمع اليرببي) من القوة بحيث دفعتهم إلى تحطيم الحواجز التي أقامتها (النصوص المقدسة) صراحة وبلا موارد مثل: من يظاهر من امرأته ثم يعتليها قبل التكفير وآخر يركب زوجته وهي حائض أو مستحاضة وثالث يطؤها في نهار رمضان ورابع ينكح امرأة أبيه أو يعاشرها دون عقدة نكاح وبتعبير الخبر (يدخل عليها) والمملوك الذي يشرع في مفاخدة جارية سيده بادئا - كالعادة - بتقبيلها وقد يحدث العكس: المرأة تسعى إلى أجير زوجها ليشبعها ويروى لها ظمأها لعجز زوجها عن ذلك... الخ كل هؤلاء ذكورا وإناثا يعلمون علم اليقين ان الفعل الذي قارفوه حرمتهم عليهم الشريعة التي بلغها محمد ولكن نزعة التلاقي بالآخر تغلبهم وتقهرهم وتملك عليهم نفوسهم وعقولهم ووجد انهم وتعطل ملكة التفكير السديد عليهم فلا يرون في (النصوص المقدسة) الا قيودا تحول دون انطلاقهم: -

- (أوس بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري ظاهر من امرأته فوطئها قبل ان يكفر) (٣٧).
وهذا رجل آخر يرتكب ذات المخالفة:

- أخبرنا أبو سلمة ومحمد بن عبد الرحمن ان سلمة بن حجر البياضي جعل امرأته كظهر أمه حتى يمضى رمضان فلما مضى نصف رمضان وقع عليها فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أعتق رقبة) (٣٨)
فهذا الصحابي سلمة - أراد ان يتفرغ للعبادة في رمضان ولما كان يشك في قوة ارادته فقد ظاهر من امرأته طوال ذاك الشهر لكيلا يقربها حتى انصرام الشهر ولكنه لم يصبر أكثر من أسبوعين وفي ليلة النصف بدل ان يحيها بالصلاة والدعاء والذكر والتهجد... الخ وثب على امرأته فوطئها غير عابئ لا باليمين يمين الظهر لان نزعة التواصل مع الجنس الاخر غلبة قهارة تكتسح في طريقها العقود والمواثيق والايمان بل والنصوص نفسها.

وهذا آخر لا يرعى للصيام حرمة ويسيطر عليه الدافع ويهيمن على نفسه وحواسه ويشل عقله فيسارع إلى امرأته فيعتليها في نهار رمضان غير عابئ بحرمة الشهر وقدسيته ولا بالنصوص الناهية:

- (عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وانا صائم) (٣٩).
ولا يقال دفعا لذلك ان الرجل كان صائما صيام تطوع لا صيام

رمضان والرد عليه انه لو كان كذلك لما أسرع إلى محمد لظنه انه هلك لأنه لو كان صيام تطوع لكان في مقدوره الإعادة كما أن بقية الحديث تقطع بوقوع الامتطاء في نهار رمضان.

وهناك العديد من الأحاديث والاخبار التي تقطع بوقوع ملامسة الزوجات في نهار رمضان وهذا الخبر سقناه على سبيل المثال لا الحصر منعا من الاملال والاطالة.

- (كان لزنباع الجذامي عبد يقال له (سندر) وجده يقبل جارية له فخصاه وجدعه فأتى سندر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إلى زنباع وقال:

من مثل به وأحرق بالنار فهو حر وهو مولى الله عز وجل ورسوله واعتق سندر فقال له سندر: يا رسول الله أوص - بي فقال: أوصي بك كل مسلم فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى سندر إلى أبي بكر فقال: احفظ في وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعاله أبو بكر حتى توفى ثم أتى بعده

إلى عمر فقال عمر: ان شئت ان تقيم عندي أجريت عليك والا فانظر أي المواضيع أحب إليك فأكتب لك فاختر سندر مصر فكتب له إلى عمرو بن العاص ان يحفظ فيه وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما قدم إلى عمرو بن العاص اقطعه أرضا واسعة ودارا فكان سندر يعيش فيها فلما مات قبضت في مال الله) (٤٠، ٤١).

نزعة التماس بالجنس الاخر شملت الأحرار والعبيد ونرى أن محمدا قابل العبد الذي هم بالزنا بجارية سيده بالرفق واللين خاصة وان سيده عاقبه عقابا صارما. وفي المجتمع اليثربي كان النسوان والرجال على قدم المساواة في السعي إلى الالتقاء بالآخر وفي الصور السابقة كان

الذكران هم أصحاب المبادرة ولكن الخبر الذي نسوقه بعد قليل يثبت ان النساء لم يكن أقل اقداما على ذلك ولم يحل الحياء الأثوي المعروف دون اتخاذ الخطوة الأولى لشدة النزعة:

- (عن عبيد الله بن عتبة عن أبي هريرة وزيد بن خالد وشبل قالوا: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنشدك الله الا قضيت بيننا بكتاب الله فقال خصمه وكان أفقه منه صدق وأذن لي يا رسول الله ان أتكلم فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قل فقال: ان ابني هذا كان عسيفا (= أجيرا) على أهل هذا فزني بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم وإني سألت رجالا من أهل العلم فأخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله - ص - والذي نفسي بيده لأقضين بينكم بكتاب الله المائة شاة والخادم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ويا أنيس اغد على امرأة هذا فسلها فان اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها) (٤٢، ٤٣).

ولا يقال ان المرأة كانت مكرهة أي ان العسيف (الأجير) قد أكرهها لأنها لو كانت كذلك لما أمر محمد بـرجمها لان الاكراه يرفع الحد ولقالت لأنيس ذلك عندما طلب منه محمد ان يذهب إليها ليسألها فان اعترفت رجمها اذن الفعل تم برضاها ولما كان شريكها عسيفا (أجيرا) كديها = لدى زوجها فلا شك انها هي التي أغرته على ذلك سواء بالقول أو بالحركات أو باللين... الخ لان الأجير لا يجروء على الاقتراب منها بدون ذلك الخلاصة ان الخطوة الأولى كانت من قبلها تحت تأثير النزعة المشبوبة لدى افراد ذلك المجتمع من الجنسين وفي بعض الأحيان كان ذلك الدافع من القوة بحيث يجبر صاحبه ليس على تحطيم (النصوص المقدسة) فحسب بل على تجاوز الحد الأدنى من الالتزام الخلقي الذي ينبع من الفطرة السوية:

- (عن البراء بن عازب قال: مربى عمى الحارث بن عمر ومعه راية فقلت أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمر ان اضرب عنقه واخذ ماله) (٤٤ ، ٤٥).

وتلك الواقعة تكررت وذكرت المصادر تكرارها ما يقطع بأنها كانت شائعة مألوفة.

- (عن معاوية بن قررة عن أبيه قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رجل تزوج امرأة أبيه ان اضرب عنقه وأصفي دمه وفي رواية أخرى وأصفي ماله) (٤٦).

وكان الزواج من أرملة الأب معروفا وليس منكرا في (المجتمع اليثربي) وهو ما يسمى في علم الاجتماع ب (وراثة النساء) ثم جاء الاسلام فحرمه وسماه (فاحشة ومقتا وساء سبيلا) (٤٧). ولا شك ان الذين مارسوه سواء في هاتين النازلتين أو في غيرهما لا يجهلون ذلك ولكن يبدو ان تلك العادة كانت متمكنة وذات جذور ضاربة في الأعمال خاصة وانه يحقق الري واطفاء الشهوة بلا مقابل للرجل: والمرأة تجد لدى الابن من الفتوة والشباب والقوة ما يعوضها عن ضعف أبيه وهرمه خاصة وان الرجال في ذلك المجتمع كانوا يحرصون على أن تكون الزوجة الثانية والثالثة... صغيرة السن ليمتع نفسه بها غير عابئ بالفارق في العمر الذي يصل في أحيان كثيرة إلى ثلاثين أو أربعين عاما فلما يموت تسعد بالالتقاء مع ابنه الذي قد يكون نديدا لها أو أصغر منها ليعطيها ما كانت محرومة منه أيام أبيه.

والعقوبات الصوارم التي أمر بها محمد: التصفية الجسدية واستصفاء المال تشي بأن المسألة لم تكن فردية بل جماعية أو جمعية أي

متكررة ومتواترة - ولكن في بعض الأحيان يكون طرفا العلاقة (= امرأة الأب والابن) أكثر دهاء فلا يعقدان نكاحا ولكن المباشرة بينها تتم في الخفاء والكتمان:

- (قال أبي بن كعب: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ان فلانا يدخل على امرأة أبيه فقال أبي: لو كنت أنا لضربتته بالسيف فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: ما أغيرك يا أبا انى لأغير منك والله أغير منى) (٤٨).

وواضح من سياق الحديث ان الرجل يدخل على زوجة أبيه دخولا مريبيا وكانت تسعد بذلك بل ربما كانت تسعى إليه وتشجعه وان الريبة هي التي دفعت الشاكي إلى تقديم شكواه إلى محمد وهناك ملحظ على درجة كبيرة من الأهمية وهو ان الخبر لا يفهم منه ان الأب متوفى لعله كان مسافرا في تجارة أو سرية فانتهاز الابن فرصة غيابه واتصل بزوجه إلى هذا الحد بلغ طغيان وازع الاتصال بالآخر: نكاح أرملة الأب أو مخادنة زوجته عندما يولى ظهره ويغيب عن بيته!!
لم يفلت من هذا النزوع العارم نحو الآخر صحاب ذوو أسماء
لوامع:

- (عن خوات بن جبير بن النعمان عن أبيه قال:
خرجت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة فخرجت من خبائي فإذا بنسوة حولي فلبست حلة ثم أتيتهن فجلست إليهن أتحدث معهن فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا جبير ما يجلسك هنا؟ قلت: يا رسول الله بعير لي شرد) (٤٩، ٥٠).

هذا الصحابي خارج في غزوة ومعه محمد أو هو مع محمد أي قريب منه ولكن كل ذلك يهون في سبيل الاتصال بالآخر فسارع بلبس حلة - لزوم التأنيق - واتي إلى النسوة وجلس إليهن يسامر هن ويادلهن أطراف الحديث الشهي لعل الحديث يجر وراءه ما هو أعمق ولما يضبطه محمد متلبسا وينكر عليه جلوسه ذاك لا يتورع ان يدعى ان سببا آخر هو الذي دفعه لذلك وهو شرود بغيره ومن البديهي ان ذلك لم يفت على فطنة محمد فكان كلما يراه يسأله: ما فعل بغيرك - ولم يحدثنا الخبر عما إذا كانت تلك النسوان صواحب جبيرهن زوجات الخارجين في الغزوة أو من الجيرة - ولعله مما لفت النظر إنهن لم يجدن غضاضة في الجلوس مع جبير والتحدث معه مما يقطع بان ذلك المجتمع لم يكن مغلقا كما تحاول كتب المتأخرين ان تصفه

- (حدثنا عمر بن أبي قيس عن عاصم عن عكرمة عن حمنة بنت جحش انها كانت مستحاضة وكان زوجها يجامعها) (٥١).

(وحمنة هذه أخت زينب بنت جحش التي تزوجها محمد بموجب آية من القرآن بعد أن كانت عند زيد ابنه ثم مولاه وحمنة كانت زوجا لمصعب بن عمير قتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله) (٥٢).

وكلاهما من أكابر الصحابة فالأول أرسله محمد قبل هجرته ليثرب ليقرئ اليثارية القرآن ولذا أطلق عليه لقب (المقرئ) ولعب دوا بارزا في ادخال عدد من زعمائهم في دين محمد اما الاخر فهو من مجلس العشرة المبشرين بالجنة) وهو (مجلس شوري محمد) والصورة الاسلامية ل (ملا قريش) حاكم مدينة القداسة: مكة قبل الاسلام وسواء كان هذا أم ذاك فقد كان لا يجد غضاضة في مباطنة حمنة وهي مستحاضة.

اما عمر بن الخطاب فقد أقدم على ما هو أو عر (٥٣):
- (عن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب قال: كان لعمر بن الخطاب امرأة تكره الجماع فكان إذا أراد ان يأتيها اعتلت عليه بالحيض فوقع عليها فإذا هي صادقة فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمره ان يتصدق بخمس دينار) (٥٤).

هنا حديث أسري أي راويه من أسرة صاحب الخبر فعبد الحميد هو ابن أخي عمر ومعرفة ما إذا كانت المرأة حائضا ليست معضلة فالحيض له رائحة نفاذة ولون دمه متميز ولكن ابن الخطاب لم يستطع ان يكبح جموح شهوته حتى بعد أن تثبت من صدق زوجته وانها فعلا كانت حائضا.

وهناك اخبار تدل على أن الدافع كان متوهجا لدى ابن الخطاب: -

- (عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله: هلكت قال: ما الذي أهلكك قال: حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) اقبل وأدبر وائق الدبر والحیضة) (٥٥، ٥٦، ٥٧).

الخبر يدل على أن ابن الخطاب من الذين يتلذذون بالمرأة مستلقية أو مقبلة أو مدبرة والذين يفرشونها فرشاً مؤثراً ولقد أيده محمد بآية من القرآن في اتيان المرأة مدبرة (مع تجنب الدبر) ومن ساعتها أصبحت رخصة لا لعمر وحده ولكن للمسلمين كافة ومن الملاحظ ان محمدا قال لابن الخطاب (اتق الحیضة) لأنه جامع إحدى زوجاته وهي حائض كما ثبت في الخبر الذي سقناه فهو يلفت نظره لعدم تكرار ذلك مرة أخرى.

حتى وهو صائم لم يكن ابن الخطاب يملك نفسه أو يسيطر عليها:
- (عن جابر ان عمر قال هشتشت فقبلت وانا صائم فقلت:
يا رسول الله صنعت اليوم أمرا عظيما قبلت وانا صائم فقال: أرأيت لو
تمضمضت من الماء وأنت صائم؟. قلت لا بأس قال: فمه) (٥٨).
والصائم يكون في حالة روحية سامية لان الصيام لله وهو الذي
يجزى به كما أخبر محمد ومن ثم لا يفكر الصائم حتى في مقدمات
الجماع مثل التقبيل لان مثل هذه الأفعال تنافى روحانية الصوم ولكن يبدو
ان ابن الخطاب كان له رأى آخر وتفسير مغاير للصيام -
ومما يؤكد ان دافع الالتقاء بالأنتى كان متقددا عند ابن الخطاب هو
الخبر الآتي الذي قبل ان نسطره نبدأ بمقدمة شارحة:
عندما شرع الصيام كان يحرم على المسلم الاكل والجماع بعد أن
ينام في الليل بمعنى انه إذا نام لا يحل له الطعام والشراب والاقتراب من
الزوجة حتى يصبح ولكن أصحاب النوازع المتوهجة في الالتقاء
بالجنس الاخر مثل ابن الخطاب لم يعبأوا بهذا التحريم وتجاوزوه:
- (عن ابن عباس قال: ان الناس كانوا قبل ان ينزل في الصوم ما
نزل فيهم يأكلون ويشربون ويحل لهم شأن الناس فإذا نام أحدهم لم
يطعم ولم يشرب ولم يأت أهله حتى يفطر من القابلة فبلغنا ان عمر بن
الخطاب نام ووجب عليه الصوم ووقع على أهله ثم جاء إلى النبي -
ص - فقال: أشكو إلى الله واليك الذي صنعت؟ قال: ما صنعت؟
قال: انى سولت لي نفسي فوقعت على أهلي بعد ما نمت وانا أريد
الصوم فزعموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ما كنت خليقا ان تفعل فنزل
الكتاب: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وفى رواية: قام

عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله انى أردت من أهلي البارحة ما يريد الرجل من أهله فقالت: انها قد نامت فظننتها. تعتل فواقعتها فنزل في عمر (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائككم). وفي رواية ثالثة: فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة قد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت: انى قد نمت فقال: ما نمت ثم وقع بها) (٥٩، ٦٠، ٦١).

هذا الخبر برواياته المختلفة التي حملتها مصادر موثوقة يثير عدة أمور:

أ - ان ابن الخطاب لا يتورع عن اتيان أهله سواء بعد نومه هو أو نوم الزوجة رغم انه يعلم تمام العلم ان ذلك منهي عنه ومحرم... الخ.

ب - انه يرمى زوجه بالكذب عندما تخبره انها نامت ليحلل وقوعه عليها.

ج - ان محمدا عاتبه على ذلك بقوله له (ما كنت خليقا ان تفعل).

د - يقول عمر (انى أردت من أهلي البارحة ما يريد الرجل من أهله) وهي عبارة بالغة الدلالة وتفصح عن نظرة الرجل إلى المرأة في ذلك المجتمع الأمي فكل ما يريده منها هو المفاخدة فلا يريد منها: مسافرة لطيفة أو مشاورة في أمر عام أو خاص... لأنها في نظره مجرد ما عون يفرغ فيه شهوته.

ه - ان محمدا للمرة الثانية على التوالي يحل لعمر الورطة (٦٢) التي وقع فيها بأن يتلو آية قرآنية وقد سبق ان رأينا ان ذلك حدث عندما حول

ابن الخطاب رحله واتى امرأته وهي مدبرة (مع تجنب الدبر).
- (روى الشافعي في مسنده عن زينب بنت أبي سلمة انها ارتضعت
من أسماء امرأة الزبير قالت: فكنت أراه أبا وكان يدخل على وانا أمشط
رأسي فيأخذ ببعض قرون رأسي ويقول اقبلي على) (٦٣).
والزبير من أكابر الصحابة وهو زوج أسماء بنت أبي بكر أخت
عائشة وزينب بنت أم سلمة إحدى زوجات محمد
ونظرا لان التقاء الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر طقس يومي من
الطقوس الاجتماعية المعتادة في (مجتمع يثرب) فقد اضطر محمد دفعا
للحرج عن أصحابه ان يبيح لهم ان يسيروا في المسجد وهم جنب:
- (عن زيد بن أسلم قال: كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشون
في المسجد وهم جنب) (٦٤). ولو كانت حالة الجنابة فردية لما صرح بذلك
ولكن هذا التصريح يفيد ان الحالة كانت جماعية وبدرجة شديدة الكثافة
بحيث لو حظر المشي في المسجد مع الجنابة لأحدث ارتباكاً في صفوف
الصحبة خاصة وان المسجد آنذاك كان يستعمل لغير الصلاة وذلك وراثة
عن المسجد الحرام ودار الندوة قبل ظهور الاسلام (٦٥).
وكانت بعض الوقائع على درجة معقولة من الجنوح:
- (روى جابر قال: ... فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى
رأيت ما دعاني إلى نكاحها) (٦٦، ٦٧)
ما الذي دفع جابر بن عبد الله وكان من المقربين لمحمد إلى أن يتخبأ
ليرى ما يدعوه إلى نكاحها لأن المرأة - على الأقل - كانت تكشف

وجها وكفيها - اذن كان يريد ان يرى غيرهما مما لا تظهره المرأة الا في المنزل وهو ما يحتاج لمن يريد ان يطلع عليه إلى التخبؤ لأنها لو فطنت إليه لخبأته عنه هذه الاجزاء المستورة هي ما عبر عنها جابر: حتى رأيت (ما دعاني إلى نكاحها) فلما أعجبتة تزوجها.
ولم تكن (التجاوزات) مقصورة على مشاهير الصحابة ممن ذكرنا بعضهم على سبيل المثال بل تعدتهم إلى صحابيات معروفات. بل ومقربات إلى محمد:

- (عن عبد الرحمن بن أبي رافع ان أم هاني بنت أبي طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطها فقال لها عمر بن الخطاب: اعلمي فان محمدا لا يغنى عنك شيئا فجاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال رسول

الله - ص - : ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي... تنال حاو حكم) (٦٨). حاو حكم قبيلتان. ان تبرج أم هاني بنت أبي طالب أخت علي وبنت عم محمد أفزع عمر بن الخطاب حتى لفت نظرها إلى أن محمدا لا يغنى عنها شيئا أي يوم الحساب فتشكوه إلى محمد - فيصرح محمد بان له شفاعاة أكيدة يوم القيامة وان أول من تنالهم هم أهل بيته أي بني هاشم فهو لم ينف واقعة تبرجها ولم يخطئ ابن الخطاب في لفت نظرها إلى ذلك ولكنه اخذ عليه انكاره شفاعته وانها ستشمل بني هاشم وأم هاني منهم ان تبرج أم هاني مغفور لها بالشفاعة المحمدية.

ولكن ما الذي يدعو أم هاني وهي من هي إلى التبرج؟ انها بلا شك ضواغط (مجتمع يثرب).

هذه الفصلة نفردها لصحابيين من ذوي الشهرة من ذوي الشهرة لكل منهما قصة تدخل في نطاق هذا الموضوع وقد اشتركا معا في الحكاية الأولى اما الأخرى فقد انفرد بها أحدهما وهو الأعلى مكانة والأذيع صيتا والأكثر تقديرا.

والخبران موثقان توثيقا محكما وقد وردا في العديد من الدواوين والكتب التي تكاد تبلغ حد القداسة ومن ثم لا يرقى إليها شك ولا تقرب منها ريبة.

اما أولهما فهو المغيرة بن شعبة:

فهو - بادئ ذي بدء من كتاب محمد أي الذين كانوا يكتبون له الرسائل التي يملئها عليهم وكان لا يفعل ذلك الا من كان يحوز على الثقة بعد أن خان أحدهم الأمانة وارتد وهرب إلى مكة وادعى انه كان يحرف ألفاظ القرآن التي كان يملئها عليه محمد - واتصاف المغيرة بأنه من كتاب محمد مسألة متواترة جاءت في الكتب التي تناولت حياة الصحابة وأحوالهم منها كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) (٦٩).
- قال المغيرة بن شعبة: حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت فيهن واحدة منهن واحدة منهن واحدة على حب ولكني احفظها لمنصبها وولدها فكنت أسترضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة أسترضيهن بالعطية) (٧٠).

والخبر صحيح في أن مجتمع يثرب الذي عاش فيه المغيرة ملازما لمحمد إذ عمل كاتبا له بعبارة لا يعبأ بالحب بين الرجل والمرأة ورغم سمو هذه العاطفة فلم يكن لها أقل موضع في ذاك المجتمع انما مدار العلاقة بين الطرفين ومحورها كان أمرين: الباه أي قوة الجماع والمال فهما السبيل

لاسترضاء إناث ذاك المجتمع فإذا كنت شابا استطعت ان تروضهن وتسترزيهن بالباه اما ان كنت شيخا اضمحلت قوتك ووهنت حركتك فليس امامك الا الأموال والهدايا والعطايا ولعلنا لاحظنا: ان الباه جاء في المقام الأول بعبارة أحد الفاعلين البارزين في ذلك المجتمع - وكل خبر نسوقه يؤكد الفكرة التي تتمحور عليها دراستنا هذه. ثم نعود إلى سياق الخبر:

نحن لا نعول كثيرا على ما أورده الجاحظ - مع تقديرنا البالغ له ولمكانته في الفكر والأدب - لأننا انما نعتمد في هذه الدراسة على المصادر التراثية التي تلقنتها الأمة بالترحاب والتجلة والتي ربما تبلغ حد القداسة ومؤلفات الجاحظ ليست كذلك مع نفاستها الشديدة وذلك لامرين:
أ - ربما دفعته نزعته الأدبية إلى المبالغة والتهويل.
ب - ما عرف عنه من وجهة اعتزالية تجعله غير مقبول لدى أهل السنة والجماعة.

نسطر ذلك حتى نقطع السبيل على أي فلاحاس (٧١) حتى لا يصيح ناعقا أو ينقع صائحا ان مصادرنا هي كتب الأدب والنوادر والأمالى - مع تقديرنا لها جميعها وانها جزء من تراثنا الذي نعتز به - ويترك عشرات المصادر الأخرى ويتمسك بهذا المصدر اليتيم وإذا كان القارئ يستهول ان يكون المغيرة بن شعبة قد أحسن تسعا وتسعين زوجة ويرى ان ذلك مبالغة فاضحة من الجاحظ فإننا نورد فيما يلي ما جاء به كتاب تراثي صاحبه من الذين أرخوا للصحابة وهو موضع تقدير من الأمة وهو كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ل ابن عبد البر:
- (قال: حدثنا سحنون عن ابن نافع قال: أحسن المغيرة بن شعبة

ثلاثمائة امرأة في الاسلام قال ابن وضاح: غير ابن نافع يقول: الف امرأة) (٧٢) ولا شك ان في كلا الرقمين مبالغة وبذلك نكون قد ظلمنا الجاحظ إذ رميناه بالتهويل لان ما ذكره لا يبلغ ثلث الأول وعشر الاخر. ومع ذلك إذا سرنا في سبيل اتهام الجاحظ بالمبالغة وقلنا ان المغيرة أحصن - في الاسلام وحده - نصف العدد أي خمسين امرأة فحسب الا يدل ذلك على أن نزعة التلاقي بالجنس الاخر أو بتعبير ابن شعبة ذاته (الباه) كانت في ذلك المجتمع متوقدة ومتوهجة بل ومشتعلة بصورة قل ان نرى لها مثيلا في المجتمعات الأخرى قديما وحديثا!!.

حكاية المغيرة مع أم جميل:

يبدو ان الباه عند المغيرة بن شعبة كان مشبوبا بطريقة غير عادية فرغم انه تزوج ذلك العدد من الزوجات فإنه لم يكتف بذلك بل: - (جعل يختلف إلى امرأة من بني هلال يقال لها أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعينة بن الهزم وكان زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك فبلغ ذلك أبا بكر بن مسروح مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - من مولدي ثقيف وشبل بن معبد بن عبيد الجلي ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وزياد بن أبيه (الذي ألحقه معاوية فيما بعد بأبيه سفيان بن حرب. إ. ه) فرصدوه حتى إذا دخلوا عليه هجموا عليه فإذا هما عريانان وهو متبطنها فخرجوا حتى أتوا عمر بن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا فقال عمر لأبي موسى الأشعري: انى أريد ان أبعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان قال فأعني بعدة من الأنصار فبعث معه البراء بن مالك وعمران بن الحصين وأبا نجيد الخزاعي وعوف بن وهب الخزاعي

فولاه البصرة وأمره باشخاص المغيرة فأشخصه بعد قدومه بثلاث.
فما صار إلى عمر جمع بينه وبين الشهود فقال نافع بن الحارث:
رأيت على بطن المرأة يحتفز عليها ورأيت يدخل ما معه ويخرجه كالميل في
المكحلة ثم شهد شبل ابن معبد على شهادته ثم أبو بكرة ثم اقبل زياد
رابعا فلما نظر إليه عمر قال: اما أرى فيه وجه رجل أرجو الا يرجم
رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على يده ولا يخزى بشهادته
وكان المغيرة قدم من مصر فأسلم وشهد الحديبية مع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -

فقال زياد: رأيت منظرا قبيحا وسمعت نفسا عاليا وما أدري أخالطها أم لا
ويقال: لم يشهد بشئ.

فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا فقال شبل: أتجلد شهود الحق وتبطل
الحد فلما جلد أبو بكرة قال اشهد ان المغيرة زان فقال عمر: حدوه
فقال على: ان جعلتها شهادة فارجم صاحبك فحلف أبو بكرة الا
يكلم زيادا ابدا وكان أخاه لأمه سمية ثم إن عمر ردهم
إلى مصرهم (٧٣).

اما عز الدين ابن الأثير الجزري فيروى الواقعة باختصار:
- (روى أبو عثمان النهدي قال: شهد أبو بكرة ونافع يعني ابن
علقمة وشبل بن معبد على المغيرة انهم نظروا إليه كما ينظرون إلى المرود
في المكحلة فجاء زياد (بن أبيه) فقال عمر: جاء رجل لا يشهد الا بالحق:
رأيت مجلسا قبيحا وانتهازا - وفي رواية: رأيت إستا تنبو ونفسا يعلو
وساقين كأنهما أذنا حمار ولا اعلم وراء ذلك فجلدهم عمر) (٧٤).
اما صاحب (الاستيعاب) فقد روى الواقعة في أكثر من موضع
نكتفي باثنين:

في ترجمة أبي بكر: (وكان من فضلاء الصحابة وهو الذي شهد على المغيرة بن شعبة فبت الشهادة وجلده عمر حد القذف إذ لم تتم الشهادة) (٧٥). وكذلك في ترجمة زياد بن أبي سفيان: - (فلما شهد على المغيرة مع أخيه أبي بكر وأخيه أبي نافع وشبل ابن معبد وحد عمر ثلاثتهم دونه إذ لم يقطع الشهادة وقطعوها) (٧٦). والخبر مشهور ورد في العديد من كتب السير والتواريخ ولا مطعن عليه - والمغيرة وقت حدوث الواقعة كان واليا للبصرة وهو بلا شك آنذاك قد جاوز الأربعين وقارب الخمسين (على أقل تقدير) ومع ذلك يقارف تلك الفعلية وعنده ولا شك أربع زوجات خلاف الإمام والجواري وملك اليمين فكيف كان حاله وهو شاب قوى في العشرين من عمره ولم يراع انه حاكم مصر واحد الصحابة الذين يعتبرهم المسلمون قدوة وأسوة!!!

والذي لا مرية فيه ان ابن الخطاب مارس نفوذه كخليفة لدى الشاهد الرابع زياد وأوحى له بالعبارات التي قالها ان المغيرة من صحب محمد وانه سوف يرجم إذا شهد بذات شهادة الثلاثة الذين سبقوه فوعاها زياد جيدا خاصة وانه كان عاملا لعمر على بعض صدقات البصرة (٧٧) أي كان موظفا لدى عمر فشهد (= زياد) شهادة مائة (٧٨) فأفلت المغيرة من الرجم وأقيم الحد على الشهود الثلاثة وعلى رأسهم أبو بكر الذي قال في حقه الحسن البصري سيد التابعين (لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن الحصين وأبي بكر) (٧٩). ومن الطريف ان زيادا لقي جزاءه على يد ابن الخطاب نفسه إذ عزله من عمله الذي ذكرناه

آنفا لان ابن الخطاب قدر ان الذي يلون شهادته لا يصعب عليه ان يغفل في الصدقات (٨٠). لقد عز على عمر ان يرمي أحد الصحابة بتهمة الزنا ولكن توقيع الحدود والحكم بالعدل والشرع أولى ليعرف المسلمون جميعهم وغيرهم ان الناس كلهم سواسية امام الاحكام لا فرق بينهم وحتى إذا سلمنا جدلا ان ما اتاه المغيرة مع أم جميل (التي لم يعبأ ان زوجها من قبيلته ثقيف) لا يبلغ حد الزنا ولكنه يشكل أفعالا عديدة تحرمها الشريعة التي أعلنها محمد منها: دخول بيت مسلم في غيابه والخلوة بزوجه التعري في بيته وتعرية زوجته والنظر إليها عارية كما ولدتها أمها والاتصاق بها والاستمتاع بها (دون ان يبلغ حد الجماع)... الخ. أليست كل هذه مخالفات جسيمة للشرع كانت توجب على ابن الخطاب ان يعزر المغيرة لم يفعل عمر شيئا من ذلك بل على العكس كافأ المغيرة إذ نقله من ولاية البصرة إلى ولاية الكوفة (٨١)...!! هذه هي الواقعة التي اقترفها ابن شعبة:

صحابي كان يكتب لمحمد أي ملازما له ومنذ دخوله الاسلام في صلح الحديبية وهو لزيق به ثم يوليه عمر على أحد الأمصار وكان في تلك الأيام في نهاية مرحلة الكهولة وبداية الشيخوخة وتزوج عددا لا يحصى من الزوجات خلاف ملك اليمين ومع هذا يقدم على ذلك أليس هذا دليلا ناصعا على عرامة (٨٢) النزوع للآخر وحدته وشدته لدى افراد ذلك المجتمع؟؟

اما الاخر فهو: عمر بن الخطاب الواقعة التي سنسورها بعد قليل حدثت من ابن الخطاب وهو خليفة إذ كان يشعر بسخط (بنى هاشم) لتوليه وأبى بكر من قبله الخلافة

وهما من فرعى (تيم وعدى) أقل مقاما بما لا يقاس في قريش منهم
فخطب ابنة لعلى من فاطمة بنت محمد أراد بذلك ان يضرب
عصفورين بحجر واحد أي يحقق هدفين:
أ - ان يمتص غضب الهاشميين - رهط محمد وأحق الناس بخلافته
في ملكه كما صرحوا بذلك مرارا على السنة كبرائهم - وذلك بان يصهر
إلى على مرشحهم الرئيسي لتولي الخلافة.
ب - ان يمتع نفسه بعد أن صار خليفة وحاكما على الإمبراطورية
الاسلامية التي بدأت تتحلل ملامحها وبعد ان تدفقت الغنائم من البلاد
الموطوءة بحد السيف وطفق الصحاب يجنون الثمار الشهية والتي ما
كانوا يحلمون بها من غزواتهم وفتوحاتهم. وهناك خبر مشهور (جعل
رزقي تحت سيفي أو رمحي) وكانت لعلى (ابنة صغيرة تعد نديدة
لحفيدات ابن الخطاب والهاشميات وهن من ذؤابة قريش أي
ارستقراطيتها كن يتميزن بالجمال الفائق وقد رأينا منذ قليل كيف كانت أم
هانئ (عمة أم كلثوم) تتبرج لتظهر جمالها حتى خاشنها عمر فشكته
لابن عمها محمد...
ونذكر بيت الشعر الذي يسجل وضاءة الهاشميات:
(بعيدة مهوى القرط اما... لنوفل أبوها واما ل عبد مناف
و الهاشميات يدخلن تحت دوحه (عبد مناف)
لقى ابن الخطاب مناوأة من على وعقيل (عم البنت) والحسن
والحسين (شقيقها وحفيدي محمد الأثيرين) ولكن عمر اخذ يداور
ويناور ويضغط واستثمر سلطانه كخليفة وحاكم بأمره وييده المنع والمنح
وان له وحده تحديد الأنصبة التي تخص كلا منهم من الغنائم الأسطورية

التي تدفقت على يثرب وأدارت رؤوس الصحبة وأولادهم وتلك الغنائم في واقع الامر هي ناتج عرق الفلاحين والعمال والشغيلة في البلاد التي وطؤها بقوة السلاح. ولم يكتف ابن الخطاب بذلك التلويح أو التلميح بل لجأ إلى (ذهب المعز) فأغرى عليا وبنيه بصداق قدره أربعون ألف درهم (٨٣) في الوقت الذي كان فيه يشجب ظاهرة المغالاة في المهور التي ضربت (المجتمع اليثربي) نتيجة وصول الأموال الوفيرة إلى أيديهم فتغيرت أحوالهم الاقتصادية ولكن العادة جرت على طول التاريخ ان ما يعظ الحاكم به (رعيته) شئ وما يفعله هو وأهل بيته شئ مغاير تماما فلا بأس ان يقف ابن الخطاب على المنبر ويحث الرعية على عدم المغالاة في المهور ثم ينزل من على المنبر ويسوق إلى على أربعين ألف درهم نحلة أي مهرا لابنته الصغيرة الجميلة أم كلثوم!!!

وأثمرت أساليب ابن الخطاب المتبانية وأفلحت في شل معارضة عقيل والحسن والحسين واستطاع ان يفوز بزواج الطفلة الوضيئة: - (كان عمر قال لعلي: زوجني يا أبا الحسن فإني سمعت رسول الله - ص - يقول: كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري... فزوجه أم كلثوم.

وفي رواية: ان عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم فقال علي: انها صغيرة فقال عمر: يا أبا الحسن زوجنيها فإني أرصد من كرامتها مالا يرصدها أحد فقال علي انا أبعثها إليك فان رضيت فقد زوجتكها فبعثها إليه ببرد وقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك فقالت ذلك لعمر فقال: قوله له قد رضيت رضيت الله عنك ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا انك أمير المؤمنين لكسرت انفك ثم خرجت حتى جاءت أباه وأخبرته بالخبر وقالت: بعثتني إلى

شيخ سوء! فقال: مهلا يا بنية فإنه زوجك) (٨٤).
ان كشف عمر لساق البنت ثابت في عدة مصادر منها ما أورده
ابن قدامة في موسوعته الفقهية (المغني):
- (وقد روى عن سعيد عن سفيان عن سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي
جعفر قال: خطب عمر بن الخطاب ابنة علي فذكر منها صغرا فقالوا انما
ردك فعاوده فقال نرسل بها إليك تنظر إليها فكشف عن ساقها فقالت:
أرسل (أي ارخ ثوبي) لولا انك أمير المؤمنين للطمت عينك) (٨٥)
في ذلك المجتمع المتوقد بنزعة مخالطة الآخر كان الساق هو ميزان
أنوثة المرأة فان كان خدلجا (٨٦). دل ذلك على انها وعاء ممتاز للمباضعة
والمفاخضة والمباطنة... وفي سيرة الصحابي بسر بن أرطاة وكان من
شيعة معاوية الأوفياء وفعل بشيعة على الأفاعيل ومن بينها أسر المسلمات
ويعهن جوارى - في السوق وذلك لأول مرة في تاريخ الاسلام كان
المشتررون قبل الشراء يكشفون عن ساقى المرأة المسلمة قبل شرائها من
أعوان بسر فان وجدوهما ممتلئتين أتموا الصفقة والا فلا لان امتلاء
الساقين كان علامة فارقة في هذا المضمار (٨٧).
لذا لما أرسل على ابنته أم كلثوم إلى خطيبها ابن الخطاب بادر بمعينة
ساقها حتى يتأكد من جودة البضاعة أو الصنف ولما كانت البنت حرة
وشريفة فأمها فاطمة بنت محمد فقد استنكرت هذا الفعل من الخليفة
وصاحت في وجهه (أتفعل هذا؟ لولا انك أمير المؤمنين لكسرت انفك
وفي رواية (المغني): للطمت عينك) وأسرعت إلى أبيها تشكو الشيخ
الذي هو في سن جدها ومع ذلك لم يتورع عن كشف ساقها!! فارتبك
على ولم يجد ما يرد به على سخطها الا قوله (مهلا يا بنية انه زوجك)

ليهدئ من ثورتها... فهي لم تصبح زوجته إذ أين العقد ومتى انعقد
وأين الشاهدان والعلانية... الخ.
وأحسن الفروض ان أمير المؤمنين كان خاطبا لم يتجاوز بعد مرحلة
الخطبة وهنا لعل القارئ يسأل:
هل يجوز للخاطب - حسب الشرع الذي حمله محمد إلى الناس -
ان يكشف عن ساقى منخطوبته ويعاينهما؟
وهل يمكن لأي خاطب ان يقتدى بعمر في ذلك باعتباره من النجوم
الذين إذا اقتدى بهم المسلم اهتدى؟ أم هي من خواص عمر وحده دون
المسلمين؟ أم ان عمر اعتمد في ذلك على أنه ممن شهد بدرا وباع تحت
الشجرة فمهما فعل أو تجاوز فان خطاياهم مغفورة له خاصة وانه من
(العشرة المبشرين بالجنة) الذين لا تضرهم البتة أفعالهم؟
أيا كان الامر فان الواقعتين اللتين صدرتا من اثنين من أكابر
الصحابة... تقطع بتأكيد ما وثقناه من أن النزوع للآخر لدى افراد ذلك
المجتمع ذكورا وإناثا كان دافقا ولذا فهو وضع الصحابة ذوي الرتب
العوالي و (عامة المسلمين) في كفتين متساويتين لان الأولين في نهاية
المطاف ما هم الا بشر تعريهم كغيرهم النوازع الطبيعية وانهم لا يستطيعون
الانفلات من اكرهات المجتمع الذي يحيون بين جنباته.
من شدة ذلك الوازع على أعضاء (مجتمع يثرب) ان غطى على
بصيرتهم فلم يفرقوا بين ما إذا كان المكان مما يجوز اظهاره فيه أو هل
الميقات مناسب لابدائه أم هل المهمة الموكولة إلى العضو تحتم عليه كتمانها
أم لا.

لم يفرقوا بين ذلك كله بل إنه غلبهم حتى في أشد الأماكن والأوقات قداسة وفي أخرج الظروف وأدقها وأصعبها... في المعركة... أو إبان تبليغ رسالة حملها محمد لهم:

- (من رواية يحيى بن عبد الله بن الحارث قال: لما دخل رسول الله - ص - مكة يوم الفتح قال سعد بن عبادة ما رأينا من نساء قريش ما يذكر من الجمال؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : هل رأيت بنات أبي أمية بن المغيرة؟ هل رأيت قريية؟ (*) هل رأيت هنداً؟ انك رأيتهن وقد أصبن بأبائهن. لم يشغل فتح مكة وهو مرحلة فاصلة في تاريخ فجر الإسلام الصحابي المعروف واحد زعماء الأنصار وسيد الخزرج سعد بن عبادة ان يرنو ببصره متفحصاً نسوان قريش ثم يصدر حكمه بعد ذلك إنهن لسن على المستوى الذي عنهن من الجمال والوضاءة ولكن هذا الحكم لم يرض محمداً القرشي فيرد عليه انك رأيتهن وهن في حالة حداد على قتلاهن من الآباء والأبناء ويضرب له أمثلة على حسناوات قريش ومنهن هند بنت أبي أمية المعروفة بأمة سلمة إحدى زوجاته التسع.

- (عن عبد الله بن الزبير انه قال: والله لقد رأيتني انظر إلى خدم هند بنت عتبة) (٨٨، ٨٩).

والزبير أحد أعضاء (مجلس العشرة المبشرين بالجنة) أو (مجلس شورى محمد) الذي حل محل (ملا قريش) الذي كان يحكم مدينة القداسة مكة قبل الإسلام وابن عمه محمد واحد المقربين إليه ولا يقال

قريية هي بنت أبي المغيرة وهند هي كذلك بنت أبي أمية وهي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم).

دفعاً لنظر الزبير إلى خدم هند وصويحباتها انه كان يريد ان يتأكد من هروبهن فكان يكفيه ان يراهن مدبرات مولات ولا حاجة به بعد ذلك إلى تصويب بصره إلى سيقانهن أو خدمهن أو مواضع رباط سراويلهن أو خلا خيلهن وكان ذلك في عركة أحد إحدى المعارك الهامة في أول الاسلام.

- (قال خارجة بن جزى العذري - يوم تبوك - سمعت رجلاً يقول يا رسول الله أيباضع أهل الجنة؟) (٩٠).

لم تمنع أهوال معركة تبوك هذا الرجل ان يسأل عن المباضعة في الجنة أو لعله يريد ان يطمئن انه لو استشهد ودخل الجنة هل فيها مباضعة وهل يستمر يباضع الحورية التي ستكون من نصيبه كما يفعل حالياً في الدنيا مع زوجه أو زوجاته الأربع!!

الا يقطع هذا الخبر ان مفاخذة النسوان كانت لديهم هاجسا ملحا يشغل عليهم حواسهم حتى في أخرج الأوقات؟

= (وأردف (= محمد) الفضل بن العباس بن عبد المطلب وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً فلما دفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرت به ظعن أي نسوان - غالباً - ما يكن في الهوادج - يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على وجه الفضل فحول وجهه

إلى الشق الآخر فأخذ ينظر فحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر) (٩١).

- (عن عبد الله بن عباس قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله - ص - فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر

إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصرف وجهه الفضل إلى الشق الآخر (٩٢).

كان ذلك في حجة الوداع. وهكذا وفي أقدس المشاعر والأوقات يصير الفضل على أن يبصب (٩٣) للحاجات ورغم أن محمدا (ابن عمه) حول وجهه أكثر من مرة إلى الجهة الأخرى إلا أنه يعاود التطلع إليهن وعندما جاءت امرأة خثعمية تقول الروايات أنها حسناء وضيئة إلى محمد تستفتيه في أمور دينها ينتهزها الفضل فرصة فيمعن النظر إليها وترد هي إليه التحية بأحسن منها فتحدق بصرها فيه ولا يرى محمدا بدا من فض هذا الاشتباك البصري فيلفت وجه الفضل إلى الشق الآخر ولكن الأخير مصر على البصبصة (٩٣).

ويبدو أن الخثعميات كن آنذاك يتميزن بالملاحة والحسن فهناك خثعمية هي أسماء بنت عميس تعاقب عليها خمسة أزواج من الصحابة من بينهم شقيقان هما جعفر وعلى ابنا أبي طالب والحمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة. وخبر الفضل والمرأة الخثعمية ورد في جل المصادر التراثية رفيعة الدرجة أي أن التشكيك فيه ضرب من المكابرة وهو مثل فاقع على طغيان تلك النزعة نزعة الالتقاء بالآخر من كلا الطرفين وانها غلابة وقهاره تهيمن على افراد ذاك المجتمع فتجعلهم يحطمون في طريقهم كل القيم فلا قدسية صحبة محمد ولا قدسية المكان ولا قدسية الزمان تقف حائلا في طريقهم. ولعل طغيان تلك النزعة لدى أولئك تتضح جلية في الإجابة عن السؤال الآتي: هل يجرؤ مسلم في أيامنا هذه مهما بلغ استهتاره على أن يبصبص إلى النسوان

الحاجات في المشاعر المقدسة؟ وهل تجرؤ حاجة مهما كانت درجة انحلالها - على أن تبادل حاجا نظرات مشبوبة في يوم عرفة أو في أيام منى!!

- (عن يحيى بن كثير عن عطاء بن السائب قال: كنا عند عبد الله بن الحارث فقال: أتدرون لمن قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من كذب على

فليتبوأ مقعده من النار) قال: قلنا: لا قال انما قال ذلك من قبل عبد الله بن أبي جذعة اتى ثقيفا بالطائف فقال: هذه حلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

امرني انا أتبوأ أي بيوتكم شئت فقالوا: هذه بيوتنا فتبوأ أيها شئت فانتظر سواد الليل فقال: أتبوأ أي نسائكم شئت فقالوا: ان عهدنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرم الزنا فسنرسل إليه فأرسلوا إليه رسولا فسار إليه

وقدم عليه عند الظهر فقال: يا رسول الله انا رسول ثقيف إليك ان ابن أبي جذعة أتانا فقال: هذه حلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امرني ان أتبوأ أي بيوتكم شئت فقلنا هذه بيوتنا فتبوأ أيها شئت فانتظر سواد الليل فقال: أتبوأ أي نسائكم شئت فقلنا: عهدنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحرم الزنا

فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضبا شديدا لم أر أشد منه. ثم أرسل رجلين ليقتلاه ويحرقاه بالنار... ثم قال: لا أراكما تأتينا الا وقد كفيتماه... فخرج ابن أبي جذعة في ليلة مطيرة ليقتل حاجته فلدغته حية... فأحرقه الرسولان) (٩٤).

وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير:

- (فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث رجلا من الأنصار وقال له: اذهب إلى فلان فاقتله واحرقه بالنار فانتهى إليه وقد مات وقبض فأمر به فنبش ثم أحرقه بالنار) (٩٥).

هذا الصحابي الذي ائتمنه محمد وأرسله في مهمة وأعطاه حلته كعلامة - وهكذا كانوا يفعلون في تلك الأيام - يخون الأمانة ويحاول ان يستخدم العلامة لتحقيق غرضه الدنيء ويخبر ثقيفا ان محمدا أباح له نساءهم يختار منهم ما يحلو له ولكن الثقيفين كانوا أذكي منه فلم ينخدعوا خاصة وان ما طلبه منهم هو زنا صراح من قبله وديوثه من جانبهم وعهدهم بمحمد انه يحرم ذلك ويحد فاعله فكيف يأمر به!! والعقاب الشديد الذي أمر بإنزاله بابن أبي جذعة الذي بلغ حد تحريق رمته كان جزاء وفاقا.

هكذا كان وصال النسوان ومخالطتهن في ذلك المجتمع وتلك كانت هميته على افراده حتى أن أحدهم لا يتورع عن أن ينسب إلى محمد أبشع تهمة وذلك في سبيل تحقيق رغبته.

الجنس في مجتمع يثرب
لم تكن للزنا عقوبة قبل الاسلام توقعها السلطة الحاكمة خلا
العقاب المعنوي الذي ينزله المجتمع بمرتكبه خاصة ان كانت المرأة الزانية من
فخذ أو بطن معروف فيقوم هؤلاء بمحو عارهم بطريقتهم الذاتية اما
الرجل الزاني فلا عقاب عليه بل كان البعض يتباهى بذلك ويعده من
سمات الرجولة والفحولة وافتخر شعراؤهم بذلك.
ولذا كانت العلاقات المحرمة متفشية في مجتمع يثرب والأحاديث
والاخبار التي تحمل وقائع الزنا والملاعنة تقطع بذلك ولعل أشهرها:
- (واقعة زنا ما عز والغامدية فلا يكاد يخلو ديوان من دواوين السنة
أو كتاب من كتب الفقه منها وسوف نذكرها عندما ندرس مشكلة
(المغيبات) التي أشرنا إليها في مقدمة هذه الدراسة لأنه يتضح من سياق
الحديث ان الغامدية كانت منهن.
- (عن عمران بن حصين ان امرأة من جهينة أتت النبي - صلى الله عليه وسلم -
وهي حبلى من الزناء فقالت يا رسول الله انى أصبت حدا) (٩٦).

حتى الأبقار المخدرات في البيوت طالتهن تلك النزعة العارمة التي سيطرت على (المجتمع الشربي) فأكرهتهن لشدة عرامتها على التفریط في عذريتهن:

- (قال بصره بن أكثم تزوجت بكرا في سترها فدخلت عليها فإذا هي حبلى فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لها الصداق بما استحلت من فرجها والولد

عبد لك فإذا ولدت فاجلدوها) (٩٧).

الحديث ورد في واحد من الصحاح فلا مطعن فيه وصاحبة الواقعة على حد تعبير الخبر: بكر في سترها ومع ذلك سرت إليها نزعة التلاقي بالآخر بل اقتحمت عليها عقر سترها فأى قوة وسلطان؟؟ وأخرى:

- (روى أبو داود بإسناده ان رجلا يقال له نصر بن أكثم نكح امرأة فولدت لأربعة أشهر فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - لها الصداق بما استحلت من فرجها وفي لفظ قال: الصداق بما استحلت من فرجها فإذا ولدت فاجلدوها) (٩٨).

والدليل على أن الزوجة كانت بكرا ان محمدا أمر بجلدها بعد ولادتها إذ لو كانت ثيبا لأمر برحمتها.

وهي كسابقتها سيطر عليها هاجس التماس بالذكر المهيم على مجتمعها فلم تعبأ بالتفریط في بكارتها والحق العار بأهلها!!! وهذه ثالثة الأبقار:

- (عن ابن عباس قال: تزوج رجل من الأنصار امرأة من بلعجلان فدخل بها فبات عندها فلما أصبح قال: ما وجدتها عذراء فرفع شأنها

إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فدعا الجارية (الشابة حديثه السن) فسألها فقالت:
بلى

كنت عذراء فأمر بهما فتلاعنا وأعطاهما المهر (٩٩).
حتى الجارية أي الشابة الحديثة السن التي بالكاد تخطت مرحلة
الطفولة لم تصبر عن التماس بالذكر ولا يهم ان بكارتها ستزول إلى
هذه الدرجة بلغ هذا الامر في ذلك المجتمع!!
وهذه أمثلة فحسب تقطع بأن الزنا كان منتشرًا في المجتمع اليثربي
ولم تفلت منه الشابات حديثات السن المخدرات في البيوت.
عندما انتقل محمد إلى حنايا مجتمع يثرب وعاش فيه وخالط أهله
أدرك على الفور انه مثل للمجتمع المكي وان الزنا فيه عملة متداولة
ونسق اجتماعي شائع تمارسه حتى الفتيات داخل أسوار البيوت ورغم
رقابة الاهل والجيرة فتوصل إلى حل لهذه الظاهرة الاجتماعية وهو ان
يتلو عليهم قرآنا يحرم الزنا ويصفه بأوصاف بشعة ويجعل له عقوبة
(حدا) يختلف باختلاف الزاني فان كان محصنا يرحم وان كان غير
محصن يجلد مائة ثم رفعت آية الرجم قراءة وبقيت حكما.
ولكن شرط اثبات الزنا بأربعة شهود يرون الميل في المكحلة صعب
التحقيق خاصة وان العملية تتم - بدهاة - في الستر وفي مكان مقفول
الامر الذي يجعل اثباتها مستحيلا فأفزع هذا الشرط صحب محمد
وخاصة الغيورين منهم الذين يتوقعون ان يجدوا رجالا يعتلون نساءهم
فهل يذهبون لاحضار الشهود؟ هنا يفلت الزاني والزوجة بعد أن يكونا قد
استمتعا وقضيا وطرهما وأطفئا شهوتيهما!!!

فإذا رماها بالزناء دون تلك البيئة المستحيلة أقيم عليه الحد طبقا للآية : (والذين يرمون المحصنات) (١٠٠) وأرقت هذه المشكلة حتى صحابة أكابر:

- (فقال سعد بن عباد: والله يا رسول الله انى لأعلم انها (= الآية) حق وانها من عند الله ولكنى قد تعجبت: لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل... لم يكن لي ان أهيجه ولا أحرکه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله انى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته... فما لبثوا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من ارضه عشيا فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتى أصبح وغدا على رسول الله فقال : انى جئت أهلي عشيا فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما جاء به واشتد عليه) (١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

بداية لم يستنكر سعد بن عباد وهو من هو ان يجد رجلا مع امرأته بل ناقش الآية باعتبار ان ذلك أمر جائز الورود ثم إن هلال بن أمية من أعيان الصحابة ومن أغنياء الأنصار وفى الخبر انه كان كان عائدا من ارضه (حيطانه وكرومه وبساتينه ونخيله... الخ).

ومع ذلك كانت تخونه زوجته الامر الذي يدل على انتشار تلك الظاهرة فى عوالي المجتمع اليربي وأسافله ويفسر لنا لماذا كانت الشابة حديثة السن تفعل ذلك لأنها كانت ترى بعينها أمها وزوجات أبيها وعماتها وخالاتها يفعلن ذلك... ونعود إلى سياق الخبر الذي انتهى بعبارة (فكره رسول الله - ص - ما جاء به أي هلال واشتد عليه) ووجه الشدة على محمد انه يعلم أن هلالا صادق فيما حدث به وان المرأة خؤون ولكن يرى ابن أمية خاليا من البيئة أو الشهود الأربعة... ومعنى ذلك جلده ثمانين جلدة (على ظهره) وتخرج له زوجته وشريكها لسانيهما شماتة!!!

وهي صورة مأساوية ومن هنا كما ورد في الحديث (اشتد على محمد).

ولكن كما رأينا فيما سلف عندما تتأزم المشكلات ويقع كبراء الصحابة في ورطة يسعفهم محمد بالحل بأن يتلو عليهم آيات من القرآن تأتي بالفرج بعد الشدة والسعة بعد الضيق إذ بعد قليل تلا عليهم آيات الملاعنة أو اللعان وهي السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من سورة النور.

ولم تكن زوجة هلال هي الوحيدة في ذلك بل لان الظاهرة منتشرة فإننا نقرأ عن زوجات أخريات لاعنهن أزواجهن وسبق ان قرأنا خبر عذراء بلعجلان المتلاعنة:

- (هناك أنصاري آخر هو عويمر بن أبيض العجلاني دخل بيته فوجد رجلا ممتطيا زوجته فرفع الامر إلى محمد وتلاعنا امامه (١٠٤).
- (قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذه المواضع فمنهم من رجح انها (آيات اللعان) نزلت في شأن عويمر (صاحب الخبر الأخير) ومنهم من رجح انها نزلت في شأن هلال (صاحب الخبر الأول) ومنهم من يجمع بينهما) (١٠٥).

وسواء كانت آيات اللعان نزلت في شأن هلال أو في شأن عويمر فالذي لا شك فيه ان زوجتيهما قد زنتا وخانتاهما لان بقية الخبرين: ان الولدين جاءا أشبه بالزانيين والزوجتان صحابيتان بل إن إحداهما وهي زوجة هلال خاطبت محمدا في واقعة سابقة وخاطبها.
وخبرا زناء الصحابيتين زوجتي الصحابيين هلال وهو من

المشهورين وعويمر لا يخلو منهما كتاب من كتب التفسير ولا مؤلف في
الفقه على جميع المذاهب لان هاتين الواقعتين كانتا السبب في تشريع
اللعان أو الملاعنة بين الزوجين فكتب التفسير تتحدث عن اللعان عند
تفسير آياته وكتب أسباب النزول تورّد المناسبتين وكتب الفقه عند شرح
اللعان وشروطه وموجباته وآثاره (١٠٦) والذي دفع الصحابيتين زوجتي
الصحابيين هلال وعويمر إلى الزنا معروف ومنتشر بين طبقات ذلك
المجتمع كافة إذ لم تكن الخيانة بدافع الحاجة إذ لم يؤثر عن هلال أو عويمر
الفاقة والعوز بل العكس هو الصحيح فقد ذكرنا ان هلالا كان صاحب
بساتين وان عشية واقعة الخيانة كان راجعا من حيطانه - ولا بسبب الانتقام
من الزوجين لأنهما كانا يخادنان غيرهما من النسوان أما إذا كان ذلك
بدافع المتعة ومتعة التماس بالذكر التي كانت طاغية على الإناث في ذلك
المجتمع فقد كان هلال بن أمية كما وصفته زوجته لمحمد عند تخلفه دون
عذر في غزوة تبوك بقولها (انه والله ما به حركة إلى شئ) (١٠٧) عند ما
طلب منها محمد الا يقترب منها وتلك العبارة كناية عن عجز زوجها
المطلق عن المجامعة أو بتعبير صحابية أخرى: (ان ما معه مثل هدبة
الثوب!).

ذلك أن هلال بن أمية من الثلاثة الذين خلفوا عن محمد في غزوة
تبوك فأمر تابعيه المسلمين باعتزالهم حتى زوجاتهم ولا شك ان محمدا
كان يدرك أهمية اعتزال المخلفين عن زوجاتهم ومدى وقع ذلك عليهم
وتأثيره في نفوسهم لأنه سيحرمهم من الطقس اليومي الذي دأب افراد
ذاك المجتمع على ممارسته ذكورا وإناثا حتى ولو بطريقة غير مشروعة بل
ولو أدى إلى أن تفقد الفتاة بكراتها!!!
فجاءت زوج هلال بعد أمر الاعتزال إلى محمد تستأذنه في خدمة

(= هلال) لأنه شيخ كبير لا يقدر على خدمة نفسه فأذن لها بالخدمة بشرط عدم الملامسة فردت على محمد بتلك العبارة... اذن كان من البديهي ان تبحث تلك الزوجة عن الشاب الفتى العفى الذي كله حركة وشدة ليروي ظمأها ويعوضها عن حرمانها وعن هرم زوجها. اما الصحابي الاخر الذي خانته زوجته: عويمر بن أبيض العجلاني فكما وصفه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (مصفرا قليل اللحم) كناية عن الضعف والمرض فكيف لا تبحث للصاحبتين زوجتي هلال وعويمر لخيانة الزوجين وهو ذاته المسيطر على افراد ذلك المجتمع.

وفي الحاليتين جاء المولود شبيها بالشريك الخدين أو الخليل وهو ما يقطع بزناء الزوجتين. ومن طريف ما يذكر ان هذا الشريك في الحاليتين هو الصحابي شريك بن سحماء وهو رجل مكتمل الرجولة ظاهر الفحولة فقد شهد مع أبية عركة أحد (١٠٨) التي وقعت في السنة الثانية والملاعنة في التاسعة أي خلال هذه السنوات السبع اكتملت رجولته وتنامت فحولته وأوردت الاخبار نقطة هامة وهي انه بلوى من بلى ولكنه كان حليفاً للأنصار (١٠٩، ١١٠). أي يعرف أحوالهم ومدخلهم ومخارجهم وعلى خلطة تامة بهم وظروف نسوانهم ومن الذي زوجها شيخ ليس به حركة للمفاخدة ومن التي زوجها مصفر قليل اللحم أي ضعيف مريض لا طاقة لديه للمباطنة... من اجل هذا تلاقى رغبتهم مع رغبتيهما لان الدافع لديهم جميعا وهم أبناء وبنات المجتمع اليربي عارم ومتوقد.

مشكلة (المغيبات)

- (جميع ما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه سبعا وعشرين غزوة... وكانت بعوثه وسراياه - صلى الله عليه وسلم - ثمانية وثلاثين من بين بعث وسرية) (١١١).

وكان عدد السرية أو البعث أو الغزوة يتراوح ما بين افراد وعشرة آلاف كما في فتح مكة (١١٢). ولم يكن تابعو محمد كلهم يخرجون في السرايا والغزوات والبعوث بل تبقى الغالبية العظمى وتظل بيوت الخارجين مكشوفة ورغبة التماس بين نسائهم والقاعدين أو المخلفين على ما وصفنا لذا غدت هذه مشكلة اجتماعية حارقة وهي (مشكلة المغيبات) وهن اللائي غاب عنهن أزواجهن.

كان على محمد ان يواجهها بحسم لضرورة توالى السرايا والغزوات التي هي ضمان بالغ الأهمية للدين الذي جاء به والدولة القرشية حلم أجداده وآبائه التي أقامها في يثرب وبلغت احصائية ابن هشام في السيرة النبوية خمسا وستين في عشر سنين أي خمسين يوما

على وجه التقريب لكل غزوة أو سرية أو بعث ومن المستحيل على محمد ان يكف عن ارسالها وبصورة منتظمة تحصينا لدينه وتثبيتا لدولته التي وضع حجر أساسها جده الأعلى قصي بن كلاب (١١٣).

وكان عليه من جانب آخر ان يضمن لجنوده الخارجين في الغزوات والسرايا تغطية مواعينهم وستر بيوتهم وصيانة اعراضهم وعدم انفلات (المغيبات) بعد مبارحتهم يثرب / المدينة خاصة ان هناك من هم على استعداد كامل للالتقاء بهن.

من اجل هذا قابل محمد (مشكلة المغيبات) بحزم وصرامة شديدين وأصدر بشأنها أحاديث توقع الرهبة البالغة في نفس كل من يقترب مجرد اقتراب من هؤلاء (المغيبات) المتعطشات وقلنا ان أحاديثه لها قدسية كبيرة لدى اتباعه ولو أنها تجيء في الرتبة التالية للقرآن: -

- (عن سليمان بن بريدة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : حرمة نساء المجاهدين على القاعدین كحرمة أمهاتهم ما من رجل يخالف إلى امرأة رجل من المجاهدين الا وقف يوم القيامة فقال: هذا خانك في أهلك فخذ من عمله ما بدا لك فما ظنكم) (١١٤).

في هذا الحديث يسوى محمد بين حرمة الام وحرمة المغيبة أي من يزني بزوجة الخارج فكأنما زنى بأمه ومن يفعل ذلك يفضح علانية على رؤوس الاشهاد يوم القيامة ويمكن للخارج اقتصاصا منه ان يضع يده على جميع حسناته!!

وهي عقوبات صوارم قصد منها معالجة المشكلة بل القضاء عليها ولكن هل أفلحت في ذلك أم ان النزعة الغلابة لدى الطرفين ظلت كما هي هذا ما سوف نراه.

- (في حديث على - رضي الله عنه - قال يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :... من آذى مجاهدا في أهله فمأواه النار لا يخرج منه الا

شفاعة المجاهد لله ان فعل ذلك (١١٥).

هنا تتساوى جريمة الزنا بزوجة الخارج في غزوة أو سرية بالكبائر التي تخلد مرتكبها في النار لان احتمال شفاعته الخارج للزاني مع زوجته منعدم تماما.

- (مثل الذي يجلس على فراش المغيبة مثل الذي ينهشه اسود أي ثعبان من أسود يوم القيامة) (١١٦، ١١٧).

ان صدور هذه الأحاديث الباترة كحد السيف يقطع بأن المشكلة متفاقمة وتزداد اتساعا ولا توجد في الأفق بادرة حل لانها كما يتضح مما يلي:

- (عن جابر بن سمرة قال: بعد رجم ما عز بن مالك (صاحب الغامدية التي يفهم من سياق الحديث انها كانت إحدى المغيبات) خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أكلمنا نفرنا في سبيل الله عز وجل خلف أحدهم نبيا كنيب التيس يمنح إحداهن الكثرة اما والله ان يمكنني الله من أحد منهم الا نكلته عنهن) (١١٨) والنيب: الصياح والتيس ذكر الماعز. والحديث يصور بعبارات بليغة أحوال القاعدين الذين يحومون حول المغيبات وتشبيهه لهم بالتيس التي تصيح اغراء لإنات الماعز تشبيه مستقى من البيئة. وهو (= الحديث) يدل على أن المشكلة لم تكن فردية بل جماعية بل انها تحولت إلى ظاهرة اجتماعية والا لما جاء وعيد محمد شديدا وصل حد النكال والتنكيل - انما الذي لا مرية فيه ان تلك الأحاديث رغم قساوة العقوبات التي حملتها وصرامة الوعيد الذي

بشرت به لم تمنع التيوس من القاعدين من الدخول على المغيبات والاستمتاع بهن فقد رأينا فيما سلف حكاية الأنصاري الذي دخل على زوجة (أخيه) الثففي الذي كان خارجا في غزوة أو سرية... وكذلك فهمنا من سياق قصة الغامدية صاحبة ما عز عنها (مغيبية) فأغراها مالك أو ربما هي التي أغرته والأصح انه تلاقى رغبتهما وسلك محمد في علاج مشكلة المغيبات طريقا آخر وهو نهى الأزواج عن (مفاجأة زوجاتهم ليلا ويسمى (الطروق ليلا):

- (إذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتط الشعثة) (١١٩). والاستحداد هو حلق العانة وتسميه العامة في مصر: (النتف) (١٢٠). وهي كلمة عربية فصيحة والشعثة هي التي تفرق شعرها لعدم الامتشاط.

- (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا) (١٢١).
- (قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا تطرقوا النساء ليلا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة) (١٢٢).

وقيل إن بعض الصحاب خالف هذه الأوامر الصريحة وطرق أهله ليلا ففوجئ بزوجه في أحضان رجل وكان من الحتم اللازم ان يتوقع ذلك أليس هو ابن (مجتمع يثرب) وربيه!!!
من الواضح ان محمدا بنهيه صحبه عن دخول بيوتهم ليلا هو ان يجنبهم المرور بتجربة قاسية تحطم معنوياتهم وتمنعهم من الانخراط مرة أخرى في سراياه وغزواته وبعوثه ونعني بها تجربة مشاهدة الزوجة تحت رجل آخر لان الاستحداد والامتشاط والاعتسال والتزين والتعطر... الخ...

لا نستغرق جميعها من الزوجة أكثر من ساعة وهذه
لا تساوى ان يقضى الزوج الليل بطوله خارج بيته خاصة وانه قد عاد
مجهدا معفرا....

ولما ذا لم ينههم محمد على الدخول عن الزوجات نهارا وحالتهن
في الليل أو النهار واحدة: عدم الاستعداد والامتشاط... وما الفرق
بين ان ينتظر الزوج حليلته بعض الوقت حتى تتزين له سواء بالنهار
وبالليل؟

ان محمدا الحصيف كان يعرف ان الليل هو الوقت المفضل لتلاقي
الأخذان خاصة في ذلك الزمان إذ لم تكن إنارة الشوارع والطرق قد
عرفت بعد وأدوات الاضاءة كانت آنذاك ضعيفة واهنة كليلة تمكن من
الدخول والخروج في أمان خاصة وان الناس قد أوت إلى مساكنها
وانقطعت الأرجل السابلة...

لهذا نهى محمد اتباعه عن الدخول على الزوجات المغيبات في
ظلمة الليل حتى لا يفاجأوا بما لا يسرهم بل يفزعهم ويفجعهم ويدفعهم
إلى الاحجام عن الخروج.

واستمرت (مشكلة المغيبات) بعد وفاة محمد فقد قرأنا في خلافة
عمر ما يدل على ذلك:

- (روى أبو حفص عن زيد بن أسلم قال: بينما عمر بن الخطاب
يحرس بالمدينة فمر بامرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه... وطال على الا خليل الا عبه

والله لولا خشية الله وحده... لحرك من هذا السرير جوانبه.
(وفى رواية لزلزل) فسأل عمر عنها فقيل له: هذه فلانة زوجها
غائب في سبيل الله فأرسل إليها امرأة تكون معها وبعث إلى زوجها فأقفله
بعدها كتب إلى أمراء الأجناد: لا تحبسوا رجلا عن امرأته أكثر من أربعة
أشهر) (١٢٣).

ارسال ابن الخطاب امرأة إلى المتشوقة لزلزلة السرير مقصود منه
مراقبتها حتى يزلزل بها سريرها بعد أن طالت غيبة زوجها ولو كان عمر يثق
فيها لما فعل ذلك وارساله الرقية يرجع إلى معرفته بأحوال (المجتمع
اليثربي)...

اما سبب توقيت مدة غيبة الزوج بأربعة شهور فمرده انه سأل النسوة
عن المدة التي تصبر فيها المرأة عن المجامعة فأجبنه: أربعة أشهر -
ولكن ذلك القرار لم يحسم تلك المشكلة ذات الجذور العميقة لان
الأشهر الأربعة هي الحد الأقصى لا الحد الأدنى خاصة وان نسوة
ذلك المجتمع تعودن على المباطنة اليومية ومن ثم استمرت المشكلة
دون حل:

- (عن الحسن قال: أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى
مرأة مغيبة كان يدخل عليها فأنكر ذلك فأرسل إليها فقيل لها: أجيبني
عمر فقالت: يا ويلها ما لها ولعمر... الخ) (١٢٤).
وعبارة (يدخل عليها) واضحة تفسر نفسها وفزع المغيبة المدخول
عليها من طلب عمر لها ودعاؤها على نفسها بالويل والثبور وعظائم
الأمور دليل على انها كانت مريية أو إذا شئت الدقة انها مغيبة نموذجية أي

يتوافق سلوكها مع موجبات وانساق وأعراف (مجتمع يثرب) الذي كانت نزعة التلاقي والتماس مع الآخر فيه غالبية. تلك جولة - على طولها النسبي - نراها قصيرة في (مجتمع يثرب) إبان العهدين المحمدي والخلفي من زاوية واحدة هي علاقة الرجل بالمرأة (والمرأة بالرجل).

والعهد المحمدي هو عهد التدشين والتأسيس والتبليغ والتكوين... أما العهد الخلفي فهو حقبة التشييد والانسياب والتوسع والاعلام... والعهدان في نظرنا على درجة قصوى من الأهمية وخاصة أولهما. ومع ذلك لم يأخذا حقهما من الدراسة الموضوعية المنهجية العلمية من كافة النواحي: العقائدية أو الدينية والاجتماعية والاقتصادية بل والعسكرية... الخ.

وان كان هناك ركام هائل من الكتابات الخطابية الانشائية عنها. وكتب التراث بمختلف أنواعها تنضوي على مخزون ضخمة ضخامة لا يتصورها القارئ العادي من المعلومات عن الفترة المحمدية خاصة ثم عن العصر الخلفي. وكثيرا ما لفتنا النظر إلى أن الكتابة عن هاتين الحقبتين من القصور البين بل من السذاجة المفرطة بمكان لان الاعتماد فيها على كتب التاريخ وحدها - كع تقديرنا البالغ لها ولأصحابها - والاعراض عن دواوين السنة بمختلف أسمائها ورتبها وكتب أسباب النزول وتفسير القرآن والناسخ والمنسوخ والقراءات والعدد في القرآن ومناسبات ورود الحديث والجرح والتعديل والمتروكين والمدلسين وكل

علوم الحديث ومؤلفات الفقه نشأته في يثرب وقبل ظهور المذاهب ثم بعد ظهورها والمذاهب المدرسة والمندثرة والباقية والمستمرة وعلم أصول الفقه وكتب الطبقات في شتى المجالات وعلم الكلام... الخ. وعن كتب الأدب والأدب والنوادر... (هذه نذكرها كمصدر ثان).

إنها جميعها أرخت لهذين العهدين تاريخاً دقيقاً ولكن بطريقتها الخاصة التي هي من البديهي ألا تجيء مطابقة لطريقة المؤرخين وتبتعد عن السرد التاريخي...

ولكن بها كنوز - وليس في هذه اللفظة أدنى مبالغة - من الأحداث والخبار والنوازل والخطب والرسائل المساجلات والمحاورات... التي تضيئ بشكل باهر ومبهر جميع النواحي في المجتمعين المحمدي والخليفي وخاصة الأول منهما وذلك للعناية البالغة التي أولاها مصنفو وواضعو وجامعو مؤلفو... تلك الكتب لشخصية محمد حتى إننا نؤكد أنهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة عن ذلك العهد ولها علاقة بمحمد إلا دونوها ولما كان هو محور ذلك العهد فمعنى ذلك أنهم سطوروا كل شئ عنه ثم بدرجة أقل عن الحقبة التالية له أي الحقبة الخليفة. وفي مذهبنا أنهم أدوا أمانتهم ولا يطلب منهم أكثر من ذلك ولا ينال من عملهم الجبار ذاك ما لحقه من تبرير وتلفيق وتزويق حاولوا أن يبرروا به أو يجملوا به بعض الوقائع من أشخاص يكون لهم في نفوسهم قداسة أو تقديراً فهذه مسألة يعذرون فيها. والعين البصيرة الناقدة التي تقرأ بوعي والتي نزع عنها القداسات

الزيوف - التي عادة ما تصاحب القارئ لهذه الكتب - هذه العين
تستطيع بقدر من التمحيص ان تكشف تلك التبريرات والتلفيقات
والتزاويق وتنحيها جانبا وتعكف على الوقائع نفسها تدرسها دراسة
موضوعية وتبحثها بحثا علميا مجردا وتحللها تحليلا دقيقا كما فعلنا -
على قدر جهدنا وطاقتنا - في هذا البحث. فالاخبار والنوازل والوقائع
والاحداث التي آوردناها معجونة - في مصادرها الأصلية - عجنا
بالتبريرات والتسويغات والتلفيقات والتزاويق والتجميلات... الخ
ولكننا استطعنا بعد قراءة أو قراءات مستأنية متمسكة بحبال الصبر
وبعيون ناقدة متحررة من غبش التقديس الزائف ان ننفض عنها كل ذلك
ونعيد قراءتها قراءة جديدة نحت جانبا هالات التبجيل المصطنعة
وحللناها وعرضناها بموضوعية لعل القارئ قد أدركها.
ومن المهم بمكان ان نذكر ان هالات التفخيم والتعظيم بدأت في
تلك المؤلفات مبكرة للغاية ربما منذ (عصر التدوين) لان كاتبها أو
مؤلفيها أو جامعها يكتبون عن أناس لهم في نظرهم قدر وفير من
القداسة وليس صحيحا ان التفخيم والتبجيل والتعظيم لم تعرفها الا
كتابات ما يسمى بكل مجانية وخفة ب (عصور الانحطاط) وان كانت
النبرة زادت زيادة واضحة والعبارات تضاعفت والنهج نفسه تضخم أو
لنقل انه تورم في هذه العصور ولكن الذي لا شك فيه ان البذرة كانت
موجودة منذ البدايات الأولى وهذا أمر طبيعي.
وعجبي يتزايد يوما بعد يوم من كليات العلوم الانسانية في
الجامعات المصرية والعربية والاسلامية التي لم تلتفت منذ نشأتها إلى تلك
الدواوين والكتب والمؤلفات... الخ كمصدر رئيسي للتاريخ والتقييم
للحقة المحمدية على وجه خاص ثم من بعدها للحقة الخليفة

واعتمادها فقط على كتب التاريخ وحتى لا يساء فهمنا نكرر العبارة السابقة (مع تقديرنا لها ولواضعيها).

وكم أسفت بل تألمت وتوجعت وأنا أطلع - مؤخرا - كتابا الفه أستاذ كبير مقاما وسنا - في إحدى كليات العلوم الانسانية بجامعة مصرية وصاحب اسم لامع في سماء الفكر في العالم العربي لا في مصر وحدها وهو يصف تلك المؤلفات التي ذكرناها ب (الكتب الصفراء) وتحدث عنها بسخرية مريرة واستهزاء شديد واستكبار واضح وإني على ثقة كاملة انه لم يفتح كتابا واحدا منها بل ولم يقرأ سطرا يتيما فيها وكيف يصدر عالم حكما على شئ لم يطلع عليه ومن المحزن ان المادة التي يدرسها ويؤلف فيها وثيقة الصلة بهذه (الكتب الصفراء).

ان ما تحتويه هذه الذخائر يهم دون استثناء كل العلماء في: - علم الاجتماع - في سائر فروع - والأنثروبولوجيا وخاصة الدينية والاقتصاد والسياسة التاريخ والتربية والاعلام والأدب واللغة بل والعلوم العسكرية وتحتاج إلى كتائب - ولا أقول كتبية واحدة - من الدارسين والباحثين والعلماء لدراستها وبحثها وتمحيصها وتبويبها وتصنيفها وتحليلها وغربلتها... الخ.

ولا صلة لهذه الدعوة التي أطلقها وأنادي بها بأعلى صوتي بما يسمى ب (معركة الأصالة والحداثة) أو (معركة التراث والتجديد) التي أصبحت الكتابة فيها ممجوجة ومملة ومستهلكة وبائخة (١٢٥) بعد أن أهرقت فيها بحور من الحبر ولا يشكل ذلك تعصبا منى ل (التراث) ولا انبهارا به فليس إلى شئ من هذا قصدت بل ربما يكون العكس تماما هو الصحيح:

ان هذا الضرب من الدراسات والبحوث الذي ندعو إليه بكل ما نملك من قوة سوف يؤدي بطريق الحتم واللزوم إلى تفكيك (القباب المقدسة) قداسات زيوف والتي تخيم على العقل العربي (بما فيه المصري) منذ قرون فتحجب عنه الهواء النقي والشمس الساطعة والى كسر القيود التي تكبله وتمنعه من الانطلاق إلى الآفاق الرحبية والفضاءات غير المحدودة التي تسبح فيها عقول الآخرين والى تسليط الأنوار الكاشفة على (النصوص) لتعرف على حقيقتها وساعتها ينعق المخاطبون بها من هيمنتها وتسلطها عليهم في كل مناحي حياتهم حتى عندما يدخلون أماكن قضاء الحاجة!!!

والى تعرية رموز كبيرة الشأن رفيعة المقام ونزع الهالات المصطنعة التي أحاطوها بها وعرضها بالصورة الحقيقية الواقعية بلا رتوش كما هي مرسومة في كتب التراث بعد اقضاء التزويقات والتجميلات التي أشرنا إليها فيما سلف وساعتها سوف يصيح من (يعاينها على الطبيعة): كم كنا مخدوعين!!

وسوف يؤدي إلى تحطيم (الأساطير) التي يؤمن بها حتى حملة الإجازات العلمية الجامعية الرنانة وبعضهم أحضرها من بلاد (الفرنجة)!!!

ولكن ما الهدف من وراء ذلك كله؟

والجواب: ان تحرير العقل العربي (وطبعا المصري) من القيود التي تكبله والفكر العربي (وطبعا المصري) من (النصوص) و (الأساطير) التي تشل حركته من أهم الدوافع ان لم تكن أهمها جميعا والتي ستساهم

في انتشار مجتمعاتنا من وهدة التخلف التي تتردى فيها منذ قرون.
والسؤال الخاتم الذي حيرني واقض مضجعي منذ أعوام طوال:
متى تنجز تلك الدراسات والبحوث؟
بل: من يجرؤ على مجرد الاقتراب منها الان؟